بيضاء من نور

زيارة أمين الله شرح وتحليل

محمود الموسوي

مؤسسة الفكر الرسالي

بيضاء من نور

زيارة أمين الله شرح وتحليل

السيد محمود الموسوي

مؤسسة الفكر الرسالي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

هوية الكتاب:

*** الكتـاب: بيضاء من نور، زيارة أمين الله شرح وتحليل.**

*** المؤلف: السيد محمود الموسوي.**

*** الناشر: مؤسسة الفكر الرسالي.**

*** الإخـراج والتصميم الفني: الكليم جرافكس:**
Mob.: +379 36778827 - Email: mohd.he@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام في زيارة أمين الله:

«مَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا دَعَا بِهِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا عِنْدَ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، أَوْ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام، إِلَّا رُفِعَ دُعَاؤُهُ فِي دَرَجٍ مِنْ نُورٍ، وَطُبِعَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وَكَانَ مَحْفُوظاً كَذَلِكَ حَتَّى يُسَلَّمَ إِلَى قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام فَيَلْقَى صَاحِبَهُ بِالْبُشْرَى وَالتَّحِيَّةِ وَالْكَرَامَةِ إِنْ شَاءَ الله».

المقـدّمـة

كلّما شعر المرء بالظمأ أسرع الخطى نحو منبع الماء الزلال ليروي عطشه، وكلّما أراد الطالب أن يتزوّد من العلم فهو يسعى ناحية أستاذه الذي يعتبره ملهم المعارف، ونحن إذ لم نعش مع أهل البيت عليهم السلام الذين هم مصدر كل نور بأبداننا، ولم نخالطهم كما خالطهم أصحابهم ومريدوهم وموالوهم، فعندما تظمأ أنفسنا وتحتاج إلى غيث الإيمان، وتحتاج قلوبنا إلى زاد التقوى، وعندما تتطلع عقولنا لبصائر المعرفة وبيّنات الهدى، فإننا نجد أقدامنا قد انتهت بنا إلى العتبات المقدّسة لأهل البيت الأطهار عليهم السلام، قاصدين زيارتهم.

فزيارة أهل البيت عليهم السلام أمواتاً كزيارتهم أحياءً، بل إنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، فيسمعون الكلام ويردّون السلام ويتلقّون السؤال، ولكن الله حجب عن أسماعنا كلامهم، وعوّضنا بذلك الإجابة عند قبابهم النوراء، آثاراً لبركاتهم عليهم السلام، وأشعرنا ببرد عطفهم علينا.

إضافة إلى ذلك، فإن تلك الزيارات هي مدارس خاصة نعيش خلالها دورات العطاء ودروس التربية، ونتزوّد منها بجرعات الإيمان، ونستلهم مواقفنا في الحياة، ومن هنا أصبحت الضرورة ملحّة للسعي نحو تسجيل أنفسنا ضمن وفد الزائرين لكل العتبات المقدّسة لأهل البيت عليهم السلام، كي لا

نُحرم أسمى عطاء وأروع تربية وأصدق إيمان وأعذب زاد للحياة.

ونحن في هذا الكتاب نتناول زيارة أمين الله كمادة دراسية ملهمة للنفس والعقل معاً، تطبيقاً عملياً لمهام الزيارات في المعرفة الدينية، ولنرى كيف يمكن أن نعيش في كنف أهل البيت عليهم السلام ونسكن إلى ظلهم الحاني، ونلتحف رأفتهم الرقيقة.

زيارة أمين الله التي جاءت على لسان الإمام زين العابدين، علي بن الحسين عليه السلام هي زيارة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الأساس، ولكن يُزار بها كل الأئمة المعصومين في كل العتبات المقدّسة، فهي عنوان الزيارات وجامع مشترك للتواصل مع نور أهل البيت عليهم السلام، ومختصر نوراني لما فصّل في زياراتهم المختلفة، زيارة عظيمة القدر، جليلة في سندها ومتنها المبارك، كما عبّر عنها العلماء الأعلام.

فلنسمح لأنفسنا بالانطلاق مع حروفها النورانية، محلّقين في سماء العظمة مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، راجين أن يكون التطلّع لزيارات أهل البيت عليهم السلام يتنامى في هذا النوع من التعاطي الواعي الملهم، ولقد كتبت هذا الشرح وأنا أعيش أياماً عصيبة بين جدران سجن الحوض الجاف[1]، نسأل الله أن يفرّج عن كل سجين مظلوم.

محمود الموسوي

سجن الحوض الجاف / البحرين

٦/ ٢/ ٢٠١٤ م يوم الخميس

١ – وقد قمت بعد إخلاء سبيلي بالتوثيق وبعض الإضافات، ليكون بهذا الشكل الذي بين يديك.

نص زيارة أمين اللّه[1]

السَّـلَامُ عَلَيْـكَ يَا أَمِـينَ الله فِي أَرْضِـهِ[2]، وَحُجَّتَهُ عَـلَى عِبَادِهِ [السَّـلَامُ عَلَيْـكَ يَا أَمِـيرَ الْمُؤْمِنِينَ]. أَشْـهَدُ أَنَّكَ جَاهَـدْتَ فِي الله حَـقَّ جِهـادِهِ، وَعَمِلْتَ بِكِتَابِـهِ، وَاتَّبَعْتَ سُـنَنَ نَبِيِّـهِ ﷺ حَتَّى دَعَـاكَ الله إِلَى جِـوَارِهِ، وَقَبَضَـكَ إِلَيْهِ بِاخْتِيَـارِهِ، وَأَلْـزَمَ أَعْدَاءَكَ الْحُجَّـةَ [فِي قَتْلِهِـمْ إِيَّـاكَ][3] مَـعَ مَا لَكَ مِـنَ الْحُجَـجِ الْبَالِغَةِ عَلَى جَمِيـعِ خَلْقِهِ.

اللهـمَّ فَاجْعَـلْ نَفْـسِي مُطْمَئِنَّـةً بِقَـدَرِكَ، رَاضِيَـةً بِقَضَائِكَ، مُولَعَـةً بِذِكْـرِكَ وَدُعَائِـكَ، مُحِبَّـةً لِصَفْـوَةِ أَوْلِيَائِـكَ، مَحْبُوبَـةً فِي أَرْضِـكَ وَسَـمَائِكَ، صَابِـرَةً عَـلَى نُـزُولِ بَلَائِـكَ، شَـاكِرَةً

---

١ – كامل الزيارات: حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ صَدَقَةَ الرَّقِّيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: زَارَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَبْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَ وَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ فَبَكَى ثُمَّ قَالَ:

٢ – في العديد من المصادر تبدأ الزيارة بـ (السلام عليك يا أمين الله) وابتدأ بعضها بالسلام عليك يا أمير المؤمنين.

٣ – عبارة (في قتلهم إياك) ليست مذكورة في العديد من المصادر.

لِفَوَاضِلِ نَعْمَائِكَ، ذَاكِرَةً لِسَوَابِغِ آلَائِكَ، مُشْتَاقَةً إِلَى فَرْحَةِ لِقَائِكَ، مُتَزَوِّدَةً التَّقْوَى لِيَوْمِ جَزَائِكَ، مُسْتَنَّةً بِسُنَنِ أَوْلِيَائِكَ، [أَنْبِيَائِكَ] مُفَارِقَةً لِأَخْلَاقِ أَعْدَائِكَ، مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيَا بِحَمْدِكَ وَثَنَائِكَ.

ثُمَّ وَضَعَ خَدَّهُ[1] عَلَى الْقَبْرِ وَقَالَ:

اللهمَّ إِنَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتِينَ إِلَيْكَ وَالِهَةٌ، وَسُبُلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْكَ شَارِعَةٌ، وَأَعْلَامَ الْقَاصِدِينَ إِلَيْكَ وَاضِحَةٌ، وَأَفْئِدَةَ الْعَارِفِينَ مِنْكَ فَازِعَةٌ، وَأَصْوَاتَ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ صَاعِدَةٌ، وَأَبْوَابَ الْإِجَابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ، وَدَعْوَةَ مَنْ نَاجَاكَ مُسْتَجَابَةٌ، وَتَوْبَةَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْكَ مَقْبُولَةٌ، وَعَبْرَةَ مَنْ بَكَى مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةٌ، وَالْإِعَانَةَ لِمَنِ اسْتَعَانَ بِكَ مَوْجُودَةٌ، وَالْإِغَاثَةَ لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِكَ مَبْذُولَةٌ، وَعِدَاتِكَ لِعِبَادِكَ مُنْجَزَةٌ، وَزَلَلَ مَنِ اسْتَقَالَكَ مُقَالَةٌ، وَأَعْمَالَ الْعَامِلِينَ لَدَيْكَ مَحْفُوظَةٌ، وَأَرْزَاقَكَ إِلَى الْخَلَائِقِ مِنْ لَدُنْكَ نَازِلَةٌ، وَعَوَائِدَ الْمَزِيدِ لَهُمْ مُتَوَاتِرَةٌ، وَذُنُوبَ الْمُسْتَغْفِرِينَ مَغْفُورَةٌ، وَحَوَائِجَ خَلْقِكَ عِنْدَكَ مَقْضِيَّةٌ، وَجَوَائِزَ السَّائِلِينَ عِنْدَكَ مَوْفُورَةٌ، وَعَوَائِدَ الْمَزِيدِ إِلَيْهِمْ

---

١ – أي الإمام زين العابدين عليه السلام.

وَاصِلَـةٌ، وَمَوَائِـدَ الْمُسْـتَطْعِمِينَ مُعَـدَّةٌ، وَمَنَاهِـلَ الظِّـمَاءِ لَدَيْـكَ مُتْرَعَـةٌ، اللهـمَّ فَاسْـتَجِبْ دُعَائِـي، وَاقْبَـلْ ثَنَائِـي، وَأَعْطِنِـي رَجَائِـي [جَزَائِي]، وَاجْمَعْ بَيْنِـي وَبَيْنَ أَوْلِيَائِي، بِحَـقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَـةَ وَالْحَسَـنِ وَالْحُسَـيْنِ عليهم السلام، إِنَّـكَ وَلِيُّ نَعْمَائِـي، وَمُنْتَهَى رَجَائِـي، وَغَايَـةُ مُنَـايَ، فِي مُنْقَلَبِـي وَمَثْوَايَ، أَنْتَ إِلَهِي وَسَـيِّدِي وَمَـوْلَايَ، اغْفِـرْ لِي وَلِأَوْلِيَائِنَـا، وَكُـفَّ عَنَّـا أَعْدَاءَنَا، وَاشْـغَلْهُمْ عَـنْ أَذَانَـا، وَأَظْهِـرْ كَلِمَـةَ الْحَـقِّ وَاجْعَلْهَـا الْعُلْيَـا، وَأَدْحِـضْ كَلِمَـةَ الْبَاطِـلِ وَاجْعَلْهَا السُّـفْلَى- إِنَّـكَ عَـلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[1].

وقد روى ابن طاووس في الإقبال هذه الزيادة:

قَـالَ جَابِرٌ قَـالَ لِيَ الْبَاقِـرُ عليه السلام: **مَا قَـالَ هَذَا الْـكَلَامَ وَلَا دَعَا بِـهِ أَحَـدٌ مِـنْ شِـيعَتِنَا عِنْـدَ قَـبْرِ أَمِـيرِ الْمُؤْمِنِـينَ عليه السلام أَوْ عِنْـدَ قَبْرِ أَحَـدٍ مِـنَ الْأَئِمَّـةِ عليهم السلام، إِلَّا رُفِـعَ دُعَـاؤُهُ فِي دَرَجٍ مِنْ نُـورٍ، وَطُبِعَ عَلَيْـهِ بِخَاتَـمِ مُحَمَّـدٍ صلى الله عليه وآله وَكَانَ مَحْفُوظـاً كَذَلِـكَ حَتَّى يُسَـلَّمَ إِلَى قَائِـمِ آلِ مُحَمَّـدٍ عليهم السلام فَيَلْقَى صَاحِبَـهُ بِالْبُشْرَى وَالتَّحِيَّـةِ وَالْكَرَامَةِ إِنْ شَاءَ الله.**

قَالَ جَابِرٌ: حَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عَبْدِ الله جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام.

---

١ - كامل الزيارات، النص، ص: ٤٠.

وَقَالَ لِي: زِدْ فِيهِ إِذَا وَدَّعْتَ أَحَداً مِنْهُمْ فَقُلْ:

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِمَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَسْتَوْدِعُكَ اللهَّ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، آمَنَّا بِالرَّسُولِ وَبِمَا جِئْتُمْ بِهِ، وَبِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ، اللهمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَتِي وَلِيَّكَ، اللهمَّ لَا تَحْرِمْنِي ثَوَابَ مَزَارِهِ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُ، وَيَسِّرْ لَنَا الْعَوْدَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهَّ[1].

١ – إقبال الأعمال، ابن طاووس، ج١، ص٤٧٠.

زيـارة المعصومين مفتـاح التغيير
زيـارة أميـر المؤمنيـن عليه السلام مثـالاً

زيارة المعصومين مفتاح التغيير

للتعرّف على مفتاح التغيير من خلال زيارة المعصومين عليهم السلام، علينا أن نلقي الضوء في البدء على شيء من التعريف بالزيارة كمفهوم، ثم نرتقي لنتعرف على الزيارة كأداة للتغيير.

الزيارة في الدلالة اللغوية

أصل الزور في اللغة[1] هو الميل والقصد والبعد، فأرض زوراء، أي بعيدة، وزار العراق أي قصدها، وقوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ**﴾[2] أي تميل.

وفي لسان العرب، قال: (وقد تَزاوَرُوا: زارَ بعضُهم بعضاً. والتَّزْوِيرُ: كرامة الزائر وإِكرامُ المَزُورِ لِلزَّائِرِ. أَبو زيد: زَوِّرُوا فلاناً أَي اذْبَحُوا له وأَكرموه. والتَّزْوِيرُ: أَن يكرم المَزُورُ زائِرَه ويَعْرِفَ له حق زيارته، وقال بعضهم: زارَ فلانٌ فلاناً أَي مال إِليه؛ ومنه تَزَاوَرَ عنه أَي مال عنه. وقد زَوَّرَ

١ – اقتبسنا هذا القسم من كتابنا (زيارة الإمام الحسين عليه السلام سماتها الربانية وآثارها التربوية).

٢ – سورة الكهف ١٧.

القومُ صاحبهم تَزْوِيراً إِذا أَحسنوا إِليه. وأَزَارَهُ: حمله على الزيارة[1].

وقال الطريحي في مجمع البحرين: «والزِّيَارَةُ في العرف: قصد المزور إكراماً له وتعظيماً له واستيناساً به»[2].

فالزيارة لغة تختزل معنى الحركة من مكان إلى مكان لما فيه من مسافة اقتضت الميل والقصد، لذا فالزيارة في العرف، تمثل حركة المزور وهو (الإنسان) لأخيه الإنسان وتوجهه إليه، بقصد الإكرام والتعظيم والاستيناس، وهو الأساس في قصد الزيارة، وهذا المعنى العرفي هو تطبيق لما احتوته اللغة.

الزيارة في الاصطلاح

الزيارة المعنية[3] التي نحن بصدد الولوج إلى عالمها الرحيب، هي زيارة القبور، ونحن أمام مستويات عديدة من تطبيقات الزيارة، ومستواها يعتمد على قبر المزور، فحيناً يُزار قبر المسلم كواحد من الأهل والأحباب، أو من عامة المسلمين، وحيناً يزار قبر لأحد الأولياء والصالحين، وحيناً يزار قبر لأحد المعصومين ومن لحق بهم من أبنائهم وأوليائهم، إلا أننا بصدد الحديث عن زيارة المعصومين عليهم السلام كمدخل لتناول نموذج منها

١ - لسان العرب، مادة زور.

٢ - مجمع البحرين، ج٣، ٣٢٠.

٣ - اقتبسنا هذا القسم من كتابنا (زيارة الإمام الحسين عليه السلام سماتها الربانية وآثارها التربوية)، وفيه المزيد من التفصيل.

في شرح زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

إننا نرى ومن خلال دراسة الروايات ونصوص الزيارات الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، أن الزيارة هي شعيرة دينية تتكوّن من مجموعة نُسك، هذه النسك تمثل أجزاء الزيارة كعمل عبادي متكامل ومدروس، وتعبيرنا بالنسك إنما لوروده في النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، ومنها الرواية التي عبّرت بـ (حتى إذا قضى مناسكه) تقصد بذلك المراسيم التي يؤديها الزائر، وهي:

عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ ثُوَيْرِ بْنِ أَبِي فَاخِتَةَ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «**يَا حُسَيْنُ مَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ يُرِيدُ زِيَارَةَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام إِنْ كَانَ مَاشِياً كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً وَمَحَى عَنْهُ سَيِّئَةً، حَتَّى إِذَا صَارَ فِي الْحَائِرِ كَتَبَهُ الله مِنَ الْمُصْلِحِينَ الْمُنْتَجَبِينَ [الْمُفْلِحِينَ الْمُنْجِحِينَ] حَتَّى إِذَا قَضَى مَنَاسِكَهُ، كَتَبَهُ الله مِنَ الْفَائِزِينَ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ الِانْصِرَافَ أَتَاهُ مَلَكٌ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله يُقْرِؤُكَ السَّلَامَ وَ يَقُولُ لَكَ اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَى**»[1].

ويمكننا أن نذكر هذه النسك الأساسية بالتالي:

١ - شد الرحال، أو المجيء للقبر الشريف.

وشد الرحال هو عبارة عن قصد القبر الشريف والمجيء عنده، كمكان مخصوص، أذِن الله أن يُرفع ويُذكر فيه اسمه، فإننا نجد أن الروايات في

١ - كامل الزيارات، ص ١٣٢.

أساسها تأمر الموالين بالتوجه نحو القبر، ودعتهم إلى أن يشدّوا رحلهم مسافرين إليها، كما أن لتلك الأسفار وذلك الحضور آداباً، فإن لتلك البقاع خصوصيات وشرفاً امتازت به عن سائر الأمصار والبقاع.

إن الحضور القلبي والتوجّه الرّوحي لزيارة صاحب القبر ما هو إلا أحد المقوّمات التي ترفع الزائر درجات، وتفيض عليه بالبركات كلما عرج بقلبه ناحية المزور واندمج بروحه مع حاله ونوره، وأن الزيارة عن بُعد، بالتوجّه القلبي ماهي إلا بديل لمن عجز عن الإتيان إلى البقعة المباركة، وهي بديل سريع لمن يديم الزيارة كل يوم وكل أسبوع وكل شهر.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي كَانَ كَمَنْ هَاجَرَ إِلَيَّ فِي حَيَاتِي فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَابْعَثُوا إِلَيَّ السَّلَامَ فَإِنَّهُ يَبْلُغُنِي**»[1].

٢- تلاوة نص الزيارة، المشتمل على (السلام، والدعاء، والتوسل).

النص الوارد عن أهل البيت عليهم السلام هو ما يُتلى في رحلة الزيارة تلك، أو يُتلى في حال البعد من أقصى البلاد، كبديل عن قراءته عند القبر الشريف، وقد يُطلق على هذه النصوص (زيارة) تسمية الجزء باسم الكل، لأنها جزء

١ -كامل الزيارات، ص١٤

مقوّم للزيارة، وهي التي يتشكل فيها هوية الخطاب الذي يرسم العلاقة بين الزائر والمزور، وهي المحتوية على مكونات (السلام، والدعاء، والتوسل)، ولذا تسمى في خطابات المعصومين في بعض الأحيان بالدعاء.

وقد يُكتفى بأحد هذه المكونات الثلاثة، أو ببعضها، حتى من غير نص وراد عن معصوم، إلا أن النص الوارد هو الأساس، وهو الخطاب الرباني الذي يحمل في طياته عمق المعرفة وأدب اللقاء، والاندماج الروحي السليم مع المزور.

٣- الصلاة، هدية للمزور.

من تمام الزيارة أن يلحق الزائر تلاوته لنص الزيارة بصلاة يهدي ثوابها لصاحب القبر الشريف، كما دلّت عليه الروايات.

وقد يُكتفى بالحضور وتلاوة نص الزيارة أو بالقيام بأحد أركانها الثلاثة (السلام والدعاء والتوسل) دون الصلاة، وقد يُكتفى بتلاوة نص الزيارة دون الحضور، ولكن لا يكتفى في مقام الزيارة بالصلاة عنهما[1]، لأن الصلاة هي جزء متمم للزيارة، ويُلحق بها.

فعن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أَنَ رَكْعَتَيِ الزِّيَارَةِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا عِنْدَ كُلِّ قَبْرٍ**»[2].

١ - يمكن أن يصلي نيابة عن الإمام المعصوم، ولكنها لا تسمى زيارة.

٢ - كامل الزيارات، ص٢٤٠

الزيارة آلة التربية

كل فعل من أفعال المعصومين عليهم السلام وكل قول وتوجيه، لا ينفك عن الأثر الرسالي في بناء الأمة وإصلاح شأنها في مستواه الجمعي والفردي على حدّ سواء، فهم عليهم السلام أنوار الهدى للبشرية، ومحالّ رحمة الله، وموضع إرادته لصياغة البشرية وهدايتها، لذلك فإن توجيهاتهم تنسجم تمام الانسجام مع آيات الهدى ووصفات الشفاء الرباني، وتأسيساً على ذلك فإننا ينبغي أن نتحرّى المنهاج التربوي في كل فعل وقول وتوجيه، بل وفي كل سكون لهم عليهم السلام، وعلينا اكتشاف المفاتيح التي تفتح لنا أبواب الولوج إلى ساحة الرحمة الإلهية، من أجل صياغة الإنسان وفقاً لهدى السماء.

ومن تلك المفاتيح الفاعلة هي زيارات المعصومين عليهم السلام التي حفّز أهل البيت عليهم السلام شيعتهم لشدّ الرحال نحو قبورهم وعتباتهم المقدّسة، التي ترقد فيها أجسادهم الطاهرة، وتحلّق فوقها أرواحهم المطهّرة، وترفرف الملائكة بينها وبين السماء في اتصال لا ينتهي، فإن ذلك التحفيز المتواتر والمتعاظم لهو تحفيز نحو موضع الشفاء، ونحو الغذاء الروحي والعقلي، فلا

يزور الزائر قبورهم عليهم السلام عبثاً أو تسلية للنفس، والزيارة ليست مجرّد طلب الشفاعة الأخروية وحسب، وإن كانت الشفاعة هي إحدى أهم مفردات الزيارة وغاياتها الكبيرة؛ لأنها متعلّقة بمستقبل الإنسان في الآخرة، إلا أن هناك سراً عجيباً لا ينبغي إغفاله في توجيه أهل البيت عليهم السلام لزيارة قبورهم فيما يرتبط برساليتها في الدنيا، وهو سر صياغة الإنسان وتربيته بآلية تربوية جديدة، لم تكن مألوفة لذهن الإنسان من قبل، حيث اعتاد على طلب التربية والتعليم عبر المثول أمام معلّم ومؤدّب، يستقي منه التوجيه والإرشاد، ولكن هنا، وعندما يقف أمام قبر من قبور أهل بيت النبوة عليهم السلام، فإنه يتلو نصوصاً مدروسة دراسة دقيقة لتناسب كافة القوى البشرية، وتحاكي نوازع ذلك الإنسان المسؤول، فهو يتوجّه فيها لمخاطبة الله تعالى حيناً، ويعطف الحديث فيها مع صاحب القبر حيناً آخر، وهو بذلك يوزّع خطابه المشحون بالمعارف وجرعات الشفاء، بين خالقه وبين وليّه الذي هو حبله الممدود بين السماء والأرض، ليفي بغرض بالغ الأهمية، يأتي مفاعيله عبر تسرّبه إلى أعماق النفس والروح والعقل.

فإن الزائر يقف أمام الضريح مسلّماً على ساكنه بعبارات الولاء واصفاً إمامه بأعذب العبارات وأقومها، في تحمله للرسالة واستقامته على المنهاج السليم، وتفانيه في تبليغ الحق، ويروي أروع المواقف في الصبر والعطاء والتضحية، التي تحلّى بها إمامه المزور. فالزائر بتلك العبارات التسليميّة إنما تتسامى نفسه لتحلّق نحو تلك الصفات، فمن خلال الإحساس بالتقصير

الواقعي يكرّر عبارات العظمة المعصومية، ليسدّ الهوّة بينه وبين إمامه، فيكون ذلك معبراً نحو معدن العظمة، ومحاولة للتقرّب ناحية مصادر النّور، وكاشفاً شيئاً من الحقائق الباهرة.

إن الزائر ينعطف بخاطبه لله تعالى عبر نصوص الزيارة، طالباً وصفات الكمال وجرعات الشفاء والإصلاح، ومن يقف أمام ربه تعالى طالباً شيئاً؛ فإن نفسه وروحه تتعلّق بذلك الشيء؛ فتوفّر شروطه وتستعد لاستقباله، ومن هذا الخطاب وذاك، فقد أمسك الزائر بمفتاح نورانيّ من مفاتيح التغيير والإصلاح النفسي والارتقاء الروحي، بل والتسامي المعرفي.

زيارة أمير المؤمنين عليه السلام منفذ إلى العظمة

شخصية الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام لم تكن خافية على أحد في عظمتها، فهو عليه السلام صاحب شخصيّة ربانيّة فريدة، طالما أعجبت حتى المغايرين له في العقيدة، الذين تعمّدوا إظهار إعجابهم عبر مؤلفاتهم وتصريحاتهم، وقد أولوا الاهتمام الكبير للحفر الفكري في شخصية الإمام عليه السلام، وفي دراسة مواقفه وعرضها للآخرين كأنموذج من أروع نماذج التاريخ البشري نصوعاً، كما كتب الكاتب المسيحي جورج جرداق موسوعته الموسومة بـ (الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة) في خمسة مجلدات، حيث قال فيها: «**وبطولات الإمام ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب، فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته للمحروم والمظلوم من الحارم والظالم وتعبده للحق أينما تجلّى له الحق، وهذه البطولات ومهما تقادم بها العهد، لا تزال مقلعاً غنياً نعود إليه، وفي كل يوم كلما اشتدّ بنا الوجد إلى بناء حياة صالحة فاضلة**»[1].

إن المتطلع نحو الكمال بأجلى معانيه وأعمق مراداته لابد له أن لا يتخطى الإمام علي عليه السلام، لما مثّله من مكانة في الإسلام بل وفي تاريخ

١ - جورج جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج١، ص٢٠

الإنسانية بأكملها، ولما قام به من جهود لا مثيل لها في خدمة الرسالة، ولما تحلّى به من مواصفات الكمال البشري، حيث لم يدع أياً من علامات الكمال إلا وسجل فيها الدرجة النهائية التي لا يمكن أن يرقى لها بشر سوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إن أمير المؤمنين عليه السلام يشهد لنفسه بالعظمة عبر الحقائق التي لا ريب فيها، فهو عليه السلام القائل:

«أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كالعضد من المنكب وكالذراع من العضد وكالكف من الذراع رباني صغيراً، وآخاني كبيراً، ولقد علمتم أني كان لي منه مجلس سر لا يطلع عليه غيري، وأنه أوصى إلي دون أصحابه وأهل بيته، ولأقولن ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم: سألته مرة أن يدعو لي بالمغفرة، فقال: أفعل. ثم قام فصلّى، فلما رفع يده للدعاء استمعت عليه، فإذا هو قائل: اللهم بحق علي عندك، اغفر لعلي. فقلت: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: أَوَأحد أكرم منك عليه؟! فأستشفع به إليه»[1].

وقال: «**عَلَّمَنِي - رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، فُتِحَ لِي مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَاب**[2]».

وقد روى الشيخ الصدوق في أماليه، محاورة سعيد بن جبير مع عبدالله بن عباس عن فضائل شخصية الإمام علي عليه السلام، ما بين فيها ابن عباس من

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٢٠، ص: ٣١٦

٢ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج١، ص٣٤

خلال معرفته ومعاشرته ما يحيّر الألباب في تلك الفضائل المتدفقة من أمير المؤمنين عليه السلام.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ الله، إِنِّي جِئْتُكَ أَسْأَلُكَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَاخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهِ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا ابْنَ جُبَيْرٍ، جِئْتَنِي تَسْأَلُنِي عَنْ خَيْرِ خَلْقِ الله مِنَ الْأُمَّةِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الله، جِئْتَنِي تَسْأَلُنِي عَنْ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ ثَلَاثَةُ آلَافِ مَنْقَبَةٍ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَ هِيَ لَيْلَةُ الْقِرْبَةِ. يَا ابْنَ جُبَيْرٍ، جِئْتَنِي تَسْأَلُنِي عَنْ وَصِيِّ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم وَوَزِيرِهِ وَخَلِيفَتِهِ وَصَاحِبِ حَوْضِهِ وَلِوَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ. وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَتْ بِحَارُ الدُّنْيَا مِدَاداً، وَالْأَشْجَارُ أَقْلَاماً، وَأَهْلُهَا كُتَّاباً، فَكَتَبُوا مَنَاقِبَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَفَضَائِلِهِ مِنْ يَوْمَ خَلَقَ الله عَزَّ وَجَلَّ الدُّنْيَا إِلَى أَنْ يُفْنِيَهَا، مَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَاهُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى[1].

فشخصية أمير المؤمنين هي الشخصية المثلى التي تمثّل معدن الحق والعدل والصلاح والإحسان والهدى في صورة بشرية، بل هو مقياس الحق، يلحقه أينما راح وتوجه، فـ «**عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِ وَالْحَقُّ مَعَهُ لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»[2]. كما هي شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه. وهذا البيان الرسولي لهو بيان العصمة والاستقامة الأبدية في شخصية الإمام علي عليه السلام، فهو والحق كالشخص وظله، وهو والقرآن كترجمان حي في صورة بشرية، وهو

١ – الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٥٥٨
٢ – المصدر نفسه، ص٨٩

والنبي كنفسه التي لا تنفك عنه.

وعندما نضع نصب أعيننا هدف الاقتداء بسيد البشرية الذي يقول: «**أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ**»[1]، فإن زيارته وشدّ الرحال نحو قبره الشريف، لهو مفتاح من مفاتيح هذا الباب الواسع سعة الآفاق، ينفتح منه آلاف الأبواب نحو الحياة الإنسانية في كافة جوانبها الكمالية.

١ - بحار الأنوار، ج٣٣، ص٤٧٤

البقعة البيضاء التي تلمع نوراً

ثواب زيارته عليه السلام

لقد ورد في الأحاديث الشريفة في ذكر زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في بقعته النوراء موضع قبره الشريف في النجف الأشرف، الفضل الكثير، وذلك تحفيزاً نحو الإمساك بهذا المفتاح التغييري الكبير، كبداية لانطلاقة التغيير في الشخصية، من باب أمير المؤمنين عليه السلام ومنفذه، وعن طريق الإمساك بحبله المتين المتصل بين السماء والأرض، وها نحن نذكر بعض هذه الروايات، ليعيش الزائر تائقاً لزيارته، مترقّباً الفضل والخير الكثير من خالقه.

روضة من رياض الجنة

١- فرحة الغري: وَبِالْإِسْنَادِ، حَدَّثَنَا سَلَامَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الرَّازِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «سَمِعْتُهُ

يَقُولُ:

الْكُوفَةُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فِيهَا قَبْرُ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ عليهما السلام، وَقُبُورُ ثَلَاثِمِائَةِ نَبِيٍّ وَسَبْعِينَ نَبِيّاً، وَسِتِّ مِائَةِ وَصِيٍّ، وَقَبْرُ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ»[1] عليه السلام.

يزوره الله وملائكته وأنبياؤه

٢- كامل الزيارات: حَدَّثَنِي أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْعَطَّارِ، عَنْ حَمْدَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ النَّيْشَابُورِيِّ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُحَمَّدٍ الْيَمَانِيِّ، عَنْ مَنِيعِ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَبِي وَهْبٍ الْبَصْرِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَتَيْتُكَ وَلَمْ أَزُرْ قَبْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

قَالَ: **بِئْسَ مَا صَنَعْتَ، لَوْ لَا أَنَّكَ مِنْ شِيعَتِنَا مَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ، أَلَا تَزُورُ مَنْ يَزُورُهُ الله تَعَالَى مَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَيَزُورُهُ الْأَنْبِيَاءُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ [وَ يَزُورُهُ الْمُؤْمِنُونَ]؟!.**

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا عَلِمْتُ ذَلِكَ.

قَالَ: **فَاعْلَمْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَفْضَلُ عِنْدَ الله مِنَ الْأَئِمَّةِ كُلِّهِمْ، وَلَهُ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ، وَعَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فُضِّلُوا**[2].

---

١ - فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين في النجف، ص٧٠

٢ - كامل الزيارات، ص٣٨

لــه الجــنة

٣- الوسائل: مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُفِيدُ فِي الْمُقْنِعَةِ عَنِ الصَّادِقِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ:

مَنْ زَارَ عَلِيّاً بَعْدَ وَفَاتِهِ فَلَهُ الْجَنَّة.[1]

تفتح لزائره أبواب السماء

٤- كامل الزيارات: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيِّ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرٍ الْحِمْيَرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ سِنَانٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ:

دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَقُلْتُ: إِنِّي أَشْتَاقُ إِلَى الْغَرِيِّ.

قَالَ: **فَمَا شَوْقُكَ إِلَيْهِ؟**

قُلْتُ لَهُ: إِنِّي أُحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَأُحِبُّ أَنْ أَزُورَهُ.

قَالَ: **فَهَلْ تَعْرِفُ فَضْلَ زِيَارَتِهِ؟**

قُلْتُ: لَا يَا ابْنَ رَسُولِ الله- فَعَرِّفْنِي ذَلِكَ.

قَالَ: إِذَا أَرَدْتَ زِيَارَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَاعْلَمْ أَنَّكَ زَائِرٌ عِظَامَ آدَمَ،

---

١ - وسائل الشيعة، ج١٤، ص٣٧٩

وَبَدَنَ نُوحٍ، وَجِسْمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.

قُلْتُ: إِنَّ آدَمَ هَبَطَ بِسَرَنْدِيبَ فِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ، وَزَعَمُوا أَنَّ عِظَامَهُ فِي بَيْتِ الله الْحَرَامِ، فَكَيْفَ صَارَتْ عِظَامُهُ بِالْكُوفَةِ؟

قَالَ: إِنَّ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى نُوحٍ عليه السلام وَهُوَ فِي السَّفِينَةِ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعاً[1]، فَطَافَ كَمَا أَوْحَى الله إِلَيْهِ، ثُمَّ نَزَلَ فِي الْمَاءِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، فَاسْتَخْرَجَ تَابُوتاً فِيهِ عِظَامُ آدَمَ، فَحَمَلَ التَّابُوتَ فِي جَوْفِ السَّفِينَةِ حَتَّى طَافَ بِالْبَيْتِ مَا شَاءَ الله تَعَالَى أَنْ يَطُوفَ- ثُمَّ وَرَدَ إِلَى بَابِ الْكُوفَةِ فِي وَسَطِ مَسْجِدِهَا، فَفِيهَا قَالَ الله لِلْأَرْضِ: ابْلَعِي ماءَكِ، فَبَلَعَتْ مَاءَهَا مِنْ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ كَمَا بَدَأَ الْمَاءُ مِنْ مَسْجِدِهَا، وَتَفَرَّقَ الْجَمْعُ الَّذِي كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ- فَأَخَذَ نُوحٌ التَّابُوتَ فَدَفَنَهُ بِالْغَرِيِّ وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ الله عَلَيْهِ مُوسى تَكْلِيماً، وَقَدَّسَ عَلَيْهِ عِيسَى تَقْدِيساً، وَاتَّخَذَ عَلَيْهِ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا، وَاتَّخَذَ عَلَيْهِ مُحَمَّداً حَبِيباً، وَجَعَلَهُ لِلنَّبِيِّينَ مَسْكَناً، وَالله مَا سَكَنَ فِيهِ أَحَدٌ بَعْدَ آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ- آدَمَ وَنُوحٍ أَكْرَمُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَإِذَا أَرَدْتَ جَانِبَ النَّجَفِ، فَزُرْ عِظَامَ آدَمَ وَ بَدَنَ نُوحٍ وَجِسْمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَإِنَّكَ زَائِرٌ الْآبَاءَ الْأَوَّلِينَ وَمُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَعَلِيّاً سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ، فَإِنَّ زَائِرَهُ تُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ عِنْدَ دَعْوَتِهِ فَلَا تَكُنْ عَنِ الْخَيْرِ نَوَّاماً[2].

---

١ - أي سبعة أشواط.

٢ - كامل الزيارات، ص٣٩

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخلصه من ذنوبه

٥- كامل الزيارات: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ أَبِي شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ:

قَالَ الْحَسَنُ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم: يَا أَبَتِ، مَا جَزَاءُ مَنْ زَارَكَ؟

قَالَ: **بُنَيَّ، مَنْ زَارَنِي حَيّاً أَوْ مَيِّتاً، أَوْ زَارَ أَبَاكَ- كَانَ حَقّاً عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَزُورَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُخَلِّصَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ**[1].

ما أتاه مكروب إلا نفّس كربته

٦- فرحة الغري: وَبِالْإِسْنَادِ عَنْهُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ الْخُزَاعِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ الْبَزَّازِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي حَسَنُ بْنُ مُغِيرَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام:

إِنَّ إِلَى جَانِبِ كُوفَانَ لَقَبْراً، مَا أَتَاهُ مَكْرُوبٌ فَصَلَّى عِنْدَهُ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، إِلَّا قَضَى الله حَاجَتَهُ، وَنَفَّسَ كُرْبَتَهُ.

قَالَ: قُلْتُ: قَبْرُ الْحُسَيْنِ عليه السلام؟

قَالَ: فَقَالَ بِرَأْسِهِ: **لَا**.

---

١ - كامل الزيارات، ص٣٩

فَقُلْتُ: قَبْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام؟ فَقَالَ بِرَأْسِهِ: نَعَم[1].

لزائره ثواب الشهداء والغفران

٧- أمالي الطوسي: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ (رَحِمَهُ الله)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الله، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، قَالَ:

مَنْ زَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ، غَيْرَ مُتَجَبِّرٍ، وَلَا مُتَكَبِّرٍ، كَتَبَ الله لَهُ أَجْرَ مِائَةِ أَلْفِ شَهِيدٍ، وَغَفَرَ الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَبُعِثَ مِنَ الْآمِنِينَ، وَهُوِّنَ عَلَيْهِ الْحِسَابُ، وَاسْتَقْبَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا انْصَرَفَ شَيَّعَتْهُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَإِنْ مَرِضَ عَادُوهُ، وَإِنْ مَاتَ تَبِعُوهُ بِالاسْتِغْفَارِ إِلَى قَبْرِهِ[2].

لا يزوره إلا الصّدّيقون

٨- كامل الزيارات: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ شَجَرَةَ، عَنْ سَلَّامٍ الْجُعْفِيِّ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ:

كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا دَخَلَ الْحُسَيْنُ عليه السلام جَذَبَهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمْسِكْهُ، ثُمَّ يَقَعُ عَلَيْهِ فَيُقَبِّلُهُ وَيَبْكِي، يَقُولُ: يَا أَبَتِ، لِمَ تَبْكِي؟

---

١ - فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين في النجف، ص٦٩

٢ - الأمالي، للطوسي، ص٢١٥

فَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ أُقَبِّلُ مَوْضِعَ السُّيُوفِ مِنْكَ.

قَالَ: يَا أَبَتِ، وَأُقْتَلُ؟

قَالَ: إِي وَالله وَأَبُوكَ وَأَخُوكَ وَأَنْتَ.

قَالَ: يَا أَبَتِ، فَمَصَارِعُنَا شَتَّى؟

قَالَ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ.

قَالَ: فَمَنْ يَزُورُنَا مِنْ أُمَّتِكَ؟

قَالَ: لَا يَزُورُنِي وَيَزُورُ أَبَاكَ وَأَخَاكَ وَأَنْتَ إِلَّا الصِّدِّيقُونَ مِنْ أُمَّتِي[1].

من أتاه ماشياً

٩- الوسائل: مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ دَاوُدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَمَّامٍ، قَالَ: وَجَدْتُ فِي كِتَابٍ كَتَبَهُ بِبَغْدَادَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الرَّازِيُّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّيْمَرِي، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ:

مَنْ زَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَاشِياً، كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَجَّةً، وَعُمْرَةً، فَإِنْ رَجَعَ مَاشِياً كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَجَّتَيْنِ وَعُمْرَتَيْنِ[2].

---

١ - كامل الزيارات، ص٧٠

٢ - وسائل الشيعة، ج١٤، ص٣٨٠

فضل زيارته على زيارة الحسين

١٠- الوسائل: عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طَاوُوسٍ، فِي كِتَابِ فَرْحَةِ الْغَرِيِّ، بِالْإِسْنَادِ الْآتِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ دَاوُدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَكْرَانَ النَّقَّاشِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَالِكِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي شُعَيْبٍ الْخُرَاسَانِيِّ، قَالَ:

قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: أَيُّمَا أَفْضَلُ زِيَارَةُ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَوْ زِيَارَةُ الْحُسَيْنِ عليه السلام؟

قَالَ: إِنَّ الْحُسَيْنَ قُتِلَ مَكْرُوباً، فَحَقِيقٌ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا يَأْتِيَهُ مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ كَرْبَهُ، وَفَضْلُ زِيَارَةِ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام- عَلَى زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ، كَفَضْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام.

ثُمَّ قَالَ لِي: **أَيْنَ تَسْكُنُ؟**

قُلْتُ: الْكُوفَةَ.

فَقَالَ: **إِنَّ مَسْجِدَ الْكُوفَةِ بَيْتُ نُوحٍ- لَوْ دَخَلَهُ رَجُلٌ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَكَتَبَ اللهُ لَهُ مِائَةَ مَغْفِرَةٍ، أَمَا إِنَّ فِيهِ دَعْوَةَ نُوحٍ عليه السلام حَيْثُ قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً.**

قُلْتُ: مَنْ عَنَى بِوَالِدَيَّ؟

قَالَ: **آدَمَ وَحَوَّاءَ**[1].

---

١ - وسائل الشيعة، ج١٤، ص٣٨٢

البقعة البيضاء تلمع نوراً

١١- فرحة الغري: وَذَكَرَ حَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ طَحَّالٍ الْمُقْدَادِيُّ أَنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عليه السلام وَرَدَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَدَخَلَ مَسْجِدَهَا وَبِهِ أَبُو حَمْزَةَ الثُّمَالِيُّ، وَكَانَ مِنْ زُهَّادِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَمَشَايِخِهَا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ.

قَالَ أَبُو حَمْزَةَ: فَمَا سَمِعْتُ أَطْيَبَ مِنْ لَهْجَتِهِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ لِأَسْمَعَ مَا يَقُولُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:

إِلَهِي إِنْ كَانَ قَدْ عَصَيْتُكَ، فَإِنِّي قَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِكَ مَنّاً مِنْكَ عَلَيَّ، لَا مَنّاً مِنِّي عَلَيْكَ، وَالدُّعَاءُ مَعْرُوفٌ.

ثُمَّ نَهَضَ، قَالَ أَبُو حَمْزَةَ: فَتَبِعْتُهُ إِلَى مُنَاخِ الْكُوفَةِ فَوَجَدْتُ عَبْداً أَسْوَدَ مَعَهُ نَجِيبٌ وَنَاقَةٌ، فَقُلْتُ يَا أَسْوَدُ، مَنِ الرَّجُلُ؟

فَقَالَ: أَوَتَخْفَى عَلَيْكَ شَمَائِلُهُ هُوَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ.

قَالَ أَبُو حَمْزَةَ: فَأَكْبَبْتُ عَلَى قَدَمَيْهِ أُقَبِّلُهَا، فَرَفَعَ رَأْسِي بِيَدِهِ وَقَالَ:

لَا يَا أَبَا حَمْزَةَ، إِنَّمَا يَكُونُ السُّجُودُ لله عَزَّ وَجَلَّ.

قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ الله، مَا أَقْدَمَكَ إِلَيْنَا؟

قَالَ: مَا رَأَيْتَ، وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ لَأَتَوْهُ وَلَوْ حَبْواً، هَلْ لَكَ أَنْ تَزُورَ مَعِي قَبْرَ جَدِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام؟

قُلْتُ: أَجَلْ، فَسِرْتُ فِي ظِلِّ نَاقَتِهِ يُحَدِّثُنِي، حَتَّى أَتَيْنَا الْغَرِيَّيْنِ وَهِيَ بُقْعَةٌ بَيْضَاءُ تَلْمَعُ نُوراً، فَنَزَلَ عَنْ نَاقَتِهِ، وَمَرَّغَ خَدَّيْهِ عَلَيْهَا، وَقَالَ:

يَا أَبَا حَمْزَةَ، هَذَا قَبْرُ جَدِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.

ثُمَّ زَارَهُ بِزِيَارَةٍ أَوَّلُهَا: السَّلَامُ عَلَى اسْمِ اللهِ الرَّضِيِّ وَنُورِ وَجْهِهِ الْمُضِيءِ، ثُمَّ وَدَّعَهُ، وَمَضَى إِلَى الْمَدِينَةِ وَرَجَعْتُ أَنَا إِلَى الْكُوفَةِ[1].

ثواب زيارته يوم الغدير

١٢- قال في مصباح المتهجد: رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الرِّضَا عليه السلام وَالْمَجْلِسُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، فَتَذَاكَرُوا يَوْمَ الْغَدِيرِ، فَأَنْكَرَهُ بَعْضُ النَّاسِ.

فَقَالَ الرِّضَا عليه السلام: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عليه السلام، قَالَ: إِنَّ يَوْمَ الْغَدِيرِ فِي السَّمَاءِ أَشْهَرُ مِنْهُ فِي الْأَرْضِ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، إِلَى أَنْ قَالَ: يَا ابْنَ أَبِي نَصْرٍ، أَيْنَ مَا كُنْتَ فَاحْضُرْ يَوْمَ الْغَدِيرِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَغْفِرُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَمُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ذُنُوبَ سِتِّينَ سَنَةً، وَيُعْتِقُ مِنَ النَّارِ ضِعْفَ مَا أَعْتَقَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلَيْلَةِ الْفِطْرِ، وَلَدِرْهَمٌ فِيهِ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ لِإِخْوَانِكَ الْعَارِفِينَ، فَأَفْضِلْ عَلَى إِخْوَانِكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَسُرَّ فِيهِ كُلَّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ[2].

---

١ - فرحة الغري، ص٤٧

٢ - مصباح المتهجد، وسلاح المتعبّد، ج٢، ٧٣٨

وقد ذُكر للإمام علي عليه السلام زيارات في بعض الأيام المحدّدة، كيوم الجمعة عن بعد، وهي شاملة لجميع المعصومين، وهي ما ذكرها مصباح المتهجد عن الإمام الصادق عليه السلام، كما أن ابن طاووس ذكر في جمال الأسبوع أن يوم الأحد يوم أمير المؤمنين عليه السلام وذكر زيارة خاصة، برواية عن من شاهد صاحب الزمان (عجل الله فرجه الشريف) وهو يزوره بها، في اليقظة لا في المنام، وللعلامة المجلسي رأي وهو أن: «**الإتيان بالأعمال الحسنة في الأزمان الشريفة، موجب لمزيد المثوبة، فزيارته ـ أي أمير المؤمنين عليه السلام ـ صلوات الله عليه في سائر الأيام الشريفة أفضل، لا سيما الأيام التي لها اختصاص به، وظهرت له فيها كرامة وفضيلة ومنقبة: كيوم ولادته، وهو على المشهور ثالث عشر رجب... وليلة مبيته على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي أول ليلة من ربيع الأول... ويوم فتح بدر على يديه، وهو السابع عشر من شهر رمضان... ويوم مواساته في غزوة أحد، وهو سابع عشر شوّال... ويوم فتح خيبر على يديه، وهو السابع والعشرين من رجب**»[1].. إلى آخر تلك الأيام الشريفة.

تارك زيارته

١٣-المقنعة: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«مَنْ تَرَكَ زِيَارَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، لَا يَنْظُرُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ»[2].

١ - بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٣٨٣.

٢- المقنعة، الشيخ المفيد، ص٤٦٢.

نفحات الاشتياق إلى حضرة علي عليه السلام

كل هذا الثواب، ثواب الشهداء الرفيع يوم القيامة، وثواب الحجّاج والمعتمرين، الذين يخرجون كما ولدتهم أمهاتهم بلا ذنب ولا أثر لزلّة مسجلّة في سجلاتهم، وكذا قضاء الحوائج والشفاء من العاهات، وكل تلك البركات، كلها كي يستجمع الإنسان نفسه، وينطلق انطلاقة مشوقة ناحية موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يسبقه قلبه إلى حضرة القدس الشريفة، وتعانق روحه قبره المقدّس قبل وصول بدنه إليه، وهناك يبدأ باستلهام القبس النوراني، ويرفعه مشعلاً ليضيء الحياة التي سربلها الظلام عتمة، وكدّرتها نحوسة الآثام والخطايا، ليبدأ درباً جديداً مضيئاً بضياء الهدى ونور العلم والاستقامة.

بوعي هذا المخطّط الربّاني لزيارة المعصومين عليهم السلام نعرف أن زيارة الإمام علي عليه السلام هي مفتاح فاعل ونافذ من مفاتيح التغيير، الذي تفتح منه أبواب الهدى والصلاح، لكل من لجأ وتمسّك بضريحه الطاهر الماثل على قبره الشريف في ظهر الكوفة في النجف الأشرف.

وتمثلاً لهذه الغاية الكبرى، يقوم الزائر بترتيب أوضاعه وتهيئة ما يلزم تهيئته، كالاستعداد النفسي، والنية الخالصة، والتطهّر والتنظّف والتطيّب، وهي المروية في آداب الزيارة، كل ذلك يمثل استعداداً قلبياً، واستعداداً

عملياً، لدخول التجربة التربوية الفذّة.

فهذا هو الإمام الصادق عليه السلام يعلّمنا كيف نُقدم على هذه العبادة العظيمة، فنتهيأ لها، ونقدّم الدعوات المعبّرة عن نيّاتنا ومقاصدنا.

رُوِيَ عَنْ صَفْوَانَ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ الصَّادِقَ عليه السلام: كَيْفَ تَزُورُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام؟

فَقَالَ: **يَاصَفْوَانُ إِذَا أَرَدْتَ ذَلِكَ، فَاغْتَسِلْ وَالْبَسْ ثَوْبَيْنِ طَاهِرَيْنِ، وَنَلْ شَيْئاً مِنَ الطِّيبِ، فَإِنْ لَمْ تَنَلْ أَجْزَأَكَ، فَإِذَا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ فَقُلْ:**

اللهمَ إِنِّي خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي أَبْغِي فَضْلَكَ، وَأَزُورُ وَصِيَ نَبِيِّكَ، صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمَا، اللهمَّ فَيَسِّرْ لِي ذَلِكَ، وَسَبِّبِ الْمَزَارَ لَهُ، وَاخْلُفْنِي فِي عَاقِبَتِي، وَحُزَانَتِي بِأَحْسَنِ الْخِلَافَةِ، يَا ارْحَمَ الرَّاحِمِينَ[1].

إن من يبتغي فضل الله تعالى الواسع، فعليه أن يشدّ الرحال إلى قبر أمير المؤمنين زائراً، ويسأل الله أن ييسّر له أموره ويهيئ له الأسباب. ولا يقتصر حصول ذلك الخير العميم على شد الرحال، بل على المؤمن أن يديم زيارته عن بُعدٍ من أي مكان، حيث يتوجّه بقلبه ناحية القبر ويتلو الكلمات النورانية للزيارة المعصومية المباركة، ليحصل على ما يوفق له من خيراتها.

لقد كان من الذين عرفوا سمو وعظمة زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، واستأنسوا بها، هو صفوان بن مهران، الذي لازم قبر أمير المؤمنين عشرين عاماً، فقد ورد في كامل الزيارات:

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْضِعِ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، قَالَ: فَوَصَفَ لِي مَوْضِعَهُ حَيْثُ دَكَادِكِ الْمِيلِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ

١ - المزار، للشهيد الأول، ص٣٠

فَصَلَّيْتُ عِنْدَهُ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام مِنْ قَابِلٍ، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَهَابِي وَصَلَاتِي عِنْدَهُ، فَقَالَ: أَصَبْتَ. فَمَكَثْتُ عِشْرِينَ سَنَةً أُصَلِّي عِنْدَهُ[1].

ولكي نثبت الحقائق التي ذكرناها من ناحية علمية وواقعية، فإننا سنقوم بشرح زيارة أمين الله لأمير المؤمنين عليه السلام، لنرى تلك الحقائق جلية أمامنا، وسنمضي بالبحث عن خارطتها النورانية.

١ – كامل الزيارات، ص٣٧

زيارة أمـين اللّـــه
خطوات في الطريق إلـى اللّـه

سير وسلوك
في رحاب علي بن أبي طالب عليه السلام

للإمام علي عليه السلام زيارات عديدة، وكلها مشحونة بالمعاني السامية العظيمة التي تأخذ الزائر إلى ساحة أمير المؤمنين عليه السلام، ولمزيد من التأكيد على هذا السر التربوي الكبير، فإننا نستعرض إحدى هذه الزيارات للانتقال من خلالها بأرواحنا لنلامس شيئاً من عظمة شخصية الإمام عليه السلام كي نتقلّد سماته الربانية، ونستلهم درره الثمينة، ونتحلّى بلمعان روحه البرّاقة الفريدة.

وإن كان الزائر لا يمكنه بلوغ المعرفة الحقّة لشخصية أمير المؤمنين عليه السلام، كما قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم:

«يَا عَلِيُّ مَا عَرَفَ اللهَّ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ غَيْرِي وَغَيْرُكَ، وَمَا عَرَفَكَ حَقَ مَعْرِفَتِكَ غَيْرُ الله وَغَيْرِي»[1].

إلا أنه يترقّى في مدارج معرفته النسبية، التي تفيض عليه بالمعاني النورانية، وهذه خاصية في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، الذي هو منبع

١ - بحار الأنوار، ج٣٩، ص٨٤

النور الرباني، ومصدر العطاء المعرفي، وهو السحاب الماطر بالغيث الروحي على زائريه، وقد قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الخاصية لعلي عليه السلام:

«مَثَلُهُ كَمَثَلِ بَيْتِ الله الْحَرَامِ، يُزَارُ وَلَا يَزُورُ، وَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْقَمَرِ، إِذَا طَلَعَ أَضَاءَ الظُّلْمَةَ، وَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الشَّمْسِ، إِذَا طَلَعَتْ أَنَارَتْ»[1].

فما نقوم به من رحلة هو سير وسلوك حقيقي إلى الله تعالى في رحاب أمير المؤمنين عليه السلام، اقتفاء لنهجه، وتصيّداً لمعرفته، وبذلك نكون قد حقّقنا استظهار أنموذج في السير إلى الله، مغايراً لما يطرحه المتصوفة والعرفاء الذين تبرّعوا في اختلاق أبواب إلى السماء، منطلقين من يقيننا أن أبواب السماء لا تفتح إلا بمفاتيح أهل البيت عليهم السلام، فمن يمسك بها، ويستمسك بعروة بابها، ستفتح له أبواب السماء شرّعاً، وسيعرج عروجاً نورانياً مرضياً لله تعالى، أما من سيتخلّى عن الإمساك بها، ومن سيتبرع باختلاق مفاتيح من عندياته، فسوف يضل ضلالاً بعيداً، ولن يلج إلا في المزيد من التيه.

مصدر النور (سند الزيارة)

كي نحقّق هدف الإمساك بالطريق الصحيح في الطريق إلى الله تعالى عبر أهل بيته الأطهار، فلا بد أن نكون على ثقة من صدور كلامهم عنهم عليهم السلام، ونحن أمام نص زيارة أمين الله التي سوف نبحر في عبابها ونشق الطريق بهديها، جدير بنا أن نتعرّض ولو يسيراً لمصدر روايتها وسندها.

---

١ - بحار الأنوار، ج٣٩، ص٨٤

في الحديث عن حقيقة صدور زيارة أمين الله، لن نبذل كثير جهد لإثبات صحتها واعتباريتها، وذلك لأنها من مشهورات التشيّع، وقد شاعت على ألسن الرواة، واهتم بتدوينها أصحاب الكتب المعتبرة من أهل التحقيق والتدقيق، حتى لا تكاد ترى كتاباً مختصاً بالزيارات إلا وتجدها مثبتة فيه، وقد قال عنها الشيخ عباس القمي في كتابه القدير، مفاتيح الجنان: (زيارة أمين الله، في غاية الاعتبار، ومروية في جميع كتب الزيارات والمصابيح، وقال العلاّمة المجلسي رَحِمَهُ اللهُ: إنها أحسن الزيارات متناً وسنداً، وينبغي المواظبة عليها في جميع الروضات المقدّسة، وهي كما روي بأسناد معتبرة، عن جابر عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه زار الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فوقف عند القبر وبكى..)[1]. ثم ذكر الزيارة المعنية.

مع هذه الشهادات من الأعلام، فإننا لا ينبغي أن نتوقف كثيراً عند إثبات ما اشتهر وذاع بين أهل الخبرة والتحقيق، خصوصاً مع ورودها في كافة كتب الرواية المختصة بالزيارات الشريفة لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فذلك يعطينا اطمئناناً بهذا النص الشريف، ولكننا ولمزيد من التأكيد نشير إلى سند واحد منها، وهو ما ذكر في كتاب كامل الزيارات لابن قولويه، وهو كالتالي:

قال جعفر بن محمد ابن قولويه: حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَلِيُّ بْنُ صَدَقَةَ الرَّقِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: زَارَ زَيْنُ

١ – مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص٣٨٥

الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَبْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.. الحديث.

إن كتاب كامل الزيارات هو الكتاب المشهور صاحبه بالوثاقة والفضل، بل مع إقراره أنه لا يروي في كتابه إلا عن الثقاة أصحاب الفضل، فقد اشتهر الكتاب كمادة للتوثيق، فآمن بعض بوثاقة كل من ذُكر فيه من الرجال في كافة الأسانيد، وقال بعض بوثاقة من يروي عنهم المصنّف مباشرة من مشايخه فقط.

وعلى كلا الحالين، فإن رواية كامل الزيارات لزيارة أمين الله، لم يقع في سندها إلا اثنين غير صاحب الكتاب المعروف بالوثاقة والفضل، أحدهما روى عنه مباشرة وهو من مشايخه وهو (أبو علي أحمد بن علي بن مهدي)، عرفت وثاقته من رواية ابن قولويه عنه مباشرة، وقد روى هو بدوره الزيارة عن أبيه وهو (علي بن صدقة الرقي) وهو علي بن مهدي بن صدقة الرقي: «قال عنه النجاشي: له كتاب عن الرضا عليه السلام. وعدّه الشيخ في رجاله في أصحاب الرضا عليه السلام[1]. وهو بدوره قد رواها عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، عن أبيه الإمام الصادق عليه السلام، وبذلك يكون السند تاماً سليماً لا شبهة فيه.

وقد رويت الزيارة في عدة من الكتب المعتبرة، منها كتاب فرحة الغري بسند صحيح أيضاً، ورواها ابن المشهدي في مزاره الكبير، وكذا إبراهيم

١ – معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج١٣، قسم علي بن مهدي ٨٥٤٩

الثقفي في كتاب الغارات، ورواها الشيخ الطوسي في مصباح المتهجّد، وغيرها من الكتب، مما يثبت من غير شك ولا ريب أن زيارة أمين الله، قد جرت كلماتها على لسان معصوم، وهو الإمام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين، سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين.

قصة الزيارة (ظروفها المعاصرة)

إن معرفة الظروف التي كانت تحفّ بالزيارة في زمن المعصوم، لها دخالة في زيادة الوعي بمضامين نص الزيارة، بل بأهدافها، فلعلنا نكتشف من السياق التاريخي الذي صدرت فيه، شيئاً يتصل بالغايات التي كان يبتغيها الإمام عليه السلام، من خصوص هذا النص.

إن لكل نصٍّ رسالة، ونصوص أهل البيت عليهم السلام التي تنوّعت في أساليبها، كانت تلحظ عدة جوانب، ومع اتصافها بالديمومة في الفائدة، إلا أن معرفة الظروف تساعد على المزيد من الوعي برسالة النص نفسه.

ونص زيارة أمين الله هو نص بالغ الأهمية، حيث إن أبعاد التداول من المعصومين كان متعدّداً، فمن خلال الاطلاع على أسانيد الروايات التي أوصلت لنا هذه الزيارة المقدّسة، تبيّن لنا أن خمسة من الأئمة المعصومين عليهم السلام، قد تداولوها، وهم قائلها ومنشؤها الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ورواها عنه ابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام، وأيضاً الإمام جعفر الصادق عليه السلام، كما أن ابنه الإمام موسى الكاظم عليه السلام، قد رواها

عن أبيه، وقد قام ابنه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بدوره بروايتها عن أبيه. ومعنى هذا أن الزيارة كانت حاضرة في ساحة التداول لكل هؤلاء المعصومين، فهم يروونها لأصحابهم، ويؤكّدون لهم بالتزامها والتمسّك بها، ويبيّنون مكانتها وعظيم ثوابها. هذا الاهتمام مؤشر على درجة عالية قد بلغتها زيارة أمين الله، ومن هذا فإن التوجّه لمعرفتها ومعرفة رسالتها، سيكون بالغ الأهمية أيضاً.

أما من ناحية الظروف التي كانت تحيط بهذه الزيارة، فهي الظروف التي عاشها الإمام زين العابدين عليه السلام، من ظرف سياسي حسّاس، اقتضى منه أن يشمّر عن سواعد الجد في مواجهة ما أصاب المجتمع الإسلامي من تدمير لكل معاني الخير والفضل، ومن تحريف لكافة القيم، ومن هدم للشخصية الإسلامية بكل أبعادها التي بناها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من قبل، ذلك الانهيار الذي كانت نتائجه وقوع المصيبة العظمى التي تمثلت بقتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسين عليه السلام ومن معه من أصحابه، وسبي نسائه، بطريقة وحشية ومذلة.

لقد واجه الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك الظرف العصيب، بالعمل على بناء الإنسان المسلم من جديد، وفقاً لمنهج القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما أرادها الله جل جلاله، وعمل على إيقاظ الضمير في المجتمع الإسلامي ليشعر بمسؤوليته تجاه المصائب التي وقعت في الأمة، فعمل عليه السلام على إنتاج مستمر للمعرفة بصور وقوالب مختلفة، فلم يتبنَّ المعرفة الجامدة

التي تقتصر على مخاطبة العقول فحسب، لأنها لن تجد لها أذناً صاغية في جو انعدام الضمير والحس الإنساني، فكانت المعارف التي أنتجها الإمام زين العابدين عليه السلام، هي معارف في قوالب تخاطب الحس الإنساني ووجدانه، عبر أشكال الدعاء ومخاطبة الله عزّ وجل، فهو توجه إلى الله تعالى، وهو شحن معرفي، وبصائر مستجيبة للتحديات في ذلك الوقت، لتقوم بعمل البناء من جديد.

فالصحيفة السجادية والأدعية الأخرى التي كان يردّدها الإمام عليه السلام هي معارف إسلامية أصيلة، يقوم الداعي من خلالها بالعروج الروحي إلى الله، وكذا كان بكاؤه على والده الإمام الحسين عليه السلام وإشاعة شعائر الحزن والمظلومية، كلها أعمال كانت تعالج مجتمعاً خائراً روحياً ومعرفياً، وما زالت تلك النصوص مؤثرة في بناء الشخصية والمجتمع، وما زالت هي معراج النور الذي يتمسك به الآملون في استقبال النور الرباني.

فزيارة أمين الله، أخذت هذا الطابع في تكوينها وبنائها، فهي مزيج بين الزيارة والدعاء والمناجاة، هذا المزيج هو جرعات قوية في التأثير الروحي، والعروج الروحي إلى الله تعالى، فمن خلال نموذج الإمام المعصوم في الزيارة، يتوجه الزائر بالدعاء ليتحصل على قائمة بما من شأنه أن يبني شخصيته مقتفياً نهجها، ثم يستمر في العروج عبر المناجاة، كي يحافظ على الاستقامة، فإن الانقلاب الذي حصل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما زال حاضراً عبر نتائجه الكارثية على الدين وعلى المجتمع، فلذا فإن الاستقامة

أمر ضروري، وأي استقامة؟ إنها الاستقامة على نهج النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، كما أكدت الزيارة عليه في ختامها.

لم يكن معروفاً على وجه الدقة تاريخ زيارة الإمام زين العابدين عليه السلام لقبر جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الزيارة، ولكنه يبدو كان مزاولاً لها سنين عديدة، بل كانت مزاولته لها بعد مقتل أبيه الإمام الحسين عليه السلام مباشرة، ما يكشف أهمية هذا النص المقدّس في بناء الشخصية في ظل الظروف القاهرة، والتحولات الكبرى، والفتن والفساد والتراجع الروحي والمعرفي، وهذا ما لا يستغني عنه الإنسان المسلم في حياته في مختلف الظروف والتحولات، لأن الواقع المعاصر أثبت لنا أن قِوى الشر لا تتوقف عجلة التدمير عندها لحظة واحدة، فهي تسعى بكل ما أوتيت من إمكانات لتدمير كل ما يتصل بالدين في حياة الإنسان. ومن هنا فإن الاتصال بالله تعالى من خلال شخصية الإمام علي عليه السلام وصياغتها وفقاً لهديه، يعدّ من أفضل الأعمال لمواجهة تيارات الفتنة والخواء الروحي.

وهنا نعرض النص الذي يوضح كيفية زيارة الإمام زين العابدين عليه السلام بهذه الزيارة:

فرحة الغري: قَالَ ابْنُ أَبِي قُرَّةَ فِي مَزَارِهِ مَا صُورَتُهُ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ الْكُوفِيُّ الْغَزَّالُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، قَالَ:

كَانَ أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَدِ اتَّخَذَ مَنْزِلَهُ مِنْ بَعْدِ مَقْتَلِ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام بَيْتاً مِنْ شَعْرٍ، وَأَقَامَ بِالْبَادِيَةِ، فَلَبِثَ بِهَا عِدَّةَ سِنِينَ، كَرَاهِيَةً لِمُخَالَطَةِ النَّاسِ وَمُلَاقَاتِهِمْ، وَكَانَ يَصِيرُ مِنَ الْبَادِيَةِ بِمَقَامِهِ بِهَا إِلَى الْعِرَاقِ زَائِراً لِأَبِيهِ، وَجَدِّهِ عليه السلام، وَلَا يُشْعَرُ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: **فَخَرَجَ سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِ مُتَوَجِّهاً إِلَى الْعِرَاقِ لِزِيَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا مَعَهُ، وَلَيْسَ مَعَنَا ذُو رُوحٍ إِلَّا النَّاقَتَيْنِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّجَفِ مِنْ بِلَادِ الْكُوفَةِ، وَصَارَ إِلَى مَكَانٍ مِنْهُ، فَبَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ بِدُمُوعِهِ، ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَحُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ...**[1]

مع أن الإمام عليه السلام كان محكوماً بظروفه الخاصة التي كان يبعث بها رسائل للأمة آنذاك، كالعزلة عن الناس ظاهراً، إلا أنه يزاول ما يروم إيصاله إلى الناس، بطريقة أو بأخرى، فهذه الزيارة التي ذكرت الرواية أنه كان يزورها مع ابنه الإمام الباقر عليه السلام دون ثالث، إلا أنه كان يخترق ستار العزلة الذي ضربه على نفسه في تلك الفترة العصيبة، فيسافر إلى النجف حيث قبر أمير المؤمنين عليه السلام، ويزور بهذه الزيارة، لتكون سنة بعده، ولهذا كان اهتمام الأئمة المعصومين من بعده بحكايتها وتعليمها الناس، ومن الملاحظ أنهم في الغالب بحسب المصادر، كمصابيح الشيخ الطوسي، ومزار ابن المشهدي، وفرحة الغري، قد رَوَوها دون سرد الظرف السياسي، حيث

١ - فرحة الغري، ص٤٤

يشير الإمام الرضا عليه السلام، أو الإمام الصادق عليه السلام إلى أن علي بن الحسين عليه السلام يمضي إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، فيقف باكياً ثم يردد هذا النص.

هل هي زيارة خاصة بالغدير؟

لقد تناول العلماء زيارة أمين الله كزيارة مطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام، بل قد صنّفها بعضهم كزيارة مطلقة للأئمة أجمعهم عليهم السلام، ولم يرد في متن رواياتها في كل الكتب التي ذكرتها أي تخصيص لهذه الزيارة بيوم أو بوقت، إلا أن ابن المشهدي قد عنونها في مزاره الكبير بعنوان (الزيارة المختصة بيوم الغدير)، وذكر نص زيارة أمين الله عن جابر الجعفي، وهي خالية من أي دلالة على ذلك، كما أن الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد صنفها أيضاً ضمن الزيارات الخاصة بيوم الغدير.

وقد جرى على مجراهم السيد ابن طاووس في إقبال الأعمال، ولكنه علّق بعدها قائلاً: «**أقول: وروى جدّي أبو جعفر الطوسي هذه الزيارة ليوم الغدير عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام انّ مولانا علي بن الحسين صلوات اللهّ عليه زاره بها فيه، وفي ألفاظها خلاف، ولم يذكر فيها وداعاً**»[1].

إلا أن المجلسي أوردها في قسم زيارات الإمام أمير المؤمنين المطلقة التي لا تختص بوقت من الأوقات، كما العديد من كتب الدعاء والزيارة كذلك،

١ – الإقبال بالأعمال الحسنة، ابن طاووس، ج٢، ص٢٧٥

وقال العلامة المجلسي بعد أن ذكر كلام ابن طاووس عن جده الطوسي معللاً تصنيفه هذا: «**وأقول إنما أوردتها هاهنا، لأنه ليس في لفظ الخبر ما يدل على الاختصاص بيوم**»[1].

وإننا لم نجد أن الشيخ الطوسي أورد روايته عن اختصاصها بيوم الغدير في مصباحه، إلا أن ابن طاووس ذكر أنه رواها، فلعله كان يقصد أصل التصنيف، إلا أن التصنيف لا يعد رواية، وقد يكون رآها في كتاب لم يصل إلينا، إلا أن هنا ملاحظتين:

١- مع التسليم بقول ابن طاووس أنه يوجد رواية تقول بأنها تقرأ في الغدير، إلا أن كلامه لا يدل على الاختصاص، فغاية ما ادعاه، هو أن الإمام زين العابدين عليه السلام قد زار أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الزيارة في يوم الغدير، ولا يعني ذلك أنها مختصة بذلك اليوم، فهي يمكن أن تقرأ في الغدير وفي غيره.

٢- جميع الروايات التي وصلت إلينا، لم نجد نصاً يخصصها بوقت، بل ظاهر الألفاظ الإطلاق، بل يمكن أن يزار بها عند أي مشهد من مشاهد الأئمة المشرفة.

---

١ - بحار الأنوار، ج٩٧، ص٢٦٨

هندسة زيارة أمين اللّه

لكل زيارة من زيارات الأئمة وزيارات أمير المؤمنين عليه السلام خصوصية وشخصية معنوية، ومعالم خاصة بها، لها هندسة تحقق من خلالها غاية أو عدة غايات في قالب نص رباني دقيق، له خارطته البارعة في التأثير.

لذا نرى أن بعض زيارات أمير المؤمنين عليه السلام جاءت لتعزيز الإيمان بشخصية أمير المؤمنين نفسه، ووضعه في المركب الإيماني لعقل الإنسان، وصولاً للاندماج الروحي، تحقيقاً لمقولة الدين في أن حبه والاعتقاد به هو أساس الدين الحق، ومحبته واجب أصيل من واجبات الدين الحنيف، نرى هذه المقاصد في الزيارة المروية عن صفوان بن مهران الجمّال عن الإمام الصادق عليه السلام، التي ترتبط بقضاء الحاجات من الله تعالى كرامة لأمير المؤمنين عليه السلام، والتي يبدأ نصها بـ (السلام عليك يا رسول الله... ثم السلام على مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، صاحب السوابق والمناقب...).

وفي زيارة يوم الغدير المروية عن إمامنا الصادق عليه السلام، وهي دعاء يقرأ بعد صلاة وصيام مندوب في ذلك اليوم العظيم، هذا الدعاء هو زيارة لأمير المؤمنين عليه السلام، يصوغ فيه النصُ البعدَ العقائدي في الإيمان بالولاية، صياغة

برهانية نورانية، مستلة من نور القرآن الكريم، وحقائق التاريخ المنبجسة في الآفاق، لتشكل معتقداً متيناً متانة البرهان الرباني الذي لا يهتز.

كما أن لأمير المؤمنين عليه السلام زيارة ضمن زياراته العديدة، هي زيارة العارفين حقاً، العارفين بولايته ومكانته التي رتّبه الله فيها، وهدف بناء نصها، هو شكر هذه النعمة الكبرى، من خلال سرد ألفاظ الحمد لله تعالى على أن أكرم العارفين بالهداية لولايته عليه السلام، وسرد إيمان الزائر العارف لذلك الفضل العميم والإقرار به أمام حضرته المقدّسة من خلال مفردات (الشهادات، والتسليم)، ثم الختام بالتقدير والشكر للمجهود والجهاد العظيم الذي بذله الإمام عليه السلام، ثم يذكر الزائر ما يلازم ذلك الاعتراف من التبرؤ من قتلة الأنبياء والأوصياء.

وضمن هذا السياق والفهم لتركيب الزيارة ونصوصها التي تشكل أهدافاً رسالية وواقعية في بناء العقلية المؤمنة والروحية الإيمانية، فإن قراءتنا لزيارة أمين الله التي نحن بصدد تناولها، نجد أنها تحتوي على خارطة تربوية بارعة في التأثير، فهي تأخذ الزائر إلى عالم رباني من خلال شخصية الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، لتتخلل نسائم الإيمان والصلاح إلى الروح بكل طواعية عبر تسلسل مدروس من لدن الإمام زين العابدين عليه السلام الذي زار جده أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الزيارة، فهو مهنّدس الأرواح، ومهذّب النفوس، والعارف بسبل تغذيتها وتثقيفها، عبر الحزمة النورانية من الأدعية الواردة عنه، وإن تكلمنا عن إحاطته خبراً بهذه المعارف وهي مسلّمة في

إيماننا، فإننا نستحضر (الصحيفة السجادية)، تلك الصحيفة النورانية، زبور آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، التي تصوغ حياة الإنسان من خلال الأدعية المتنوعة بتنوع اهتمامات الإنسان، في سلوكه ومكارم أخلاقه، وفي بيته وبين أهله، وفيما بينه وبين خالقه، وفي تقلبات الأيام، وما يتطلع إليه الداعي من هموم وتحديات، حتى صارت صحيفته السجادية المباركة أبلغ الدروس التي تزكّي النفوس، وتهذّب الإنسان.

أهداف زيارة أمين الله

إن العنوان الذي نعنون به زيارة أمين الله عبر ما تصبو إليه من أهداف واقعية، هو بناء الشخصية المسلمة عبر نموذج الإيمان بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام بشكل خاص، والإيمان بالأئمة من بعده بشكل عام، ولأن الزيارة جاءت بمواصفات الإمام عليه السلام ما يمكن أن يشترك فيها سائر الأئمة، ويزار بها جميع مراقد الأئمة الطاهرين، فهذا يعني أننا ننطلق في بناء الشخصية من خلال الإيمان بالمعصوم، وأثر الانعكاسات المعنوية والمعرفية لشخصيته على الإنسان المؤمن.

إن نص الزيارة يأخذ الزائر إلى رحلة نورانية في بناء معرفي متسلسل لشخصيته، ولكن عليه أن يعي مضامينه، كي يحقق الغايات المطلوبة من رسالية هذا النص المقدّس، كي لا تكون زيارته مجرّد ألفاظ عابرة، كمن يصلي وليس له من صلاته إلا التعب، وكمن يصوم وليس له

من صيامه إلا الجوع والعطش، فالزيارة التي لا يلتفت الزائر إلى مضامينها لن تؤتي أكلها ولن تؤدّي مفاعيلها في شخصيته، وهذا البعد من الأبعاد المهمة جداً في بناء الزيارات للمعصومين عليهم السلام.

لا شك أن لألفاظ الذكر بشكل عام تأثيراً في نفس الإنسان من نواحي عدة، حتى ولو كان جاهلاً، منها الاطمئنان النفسي، أو الفائدة الجزئية والتدريجية عبر فهم عبارة أو عبارتين، إلا أننا في معرض التطلّع إلى الاستفادة الواعية والأكثر وعياً من هذه النصوص النورانية المقدّسة، وكي لا نكون ممن ضيّع هذه الكنوز الغالية، فتصيبنا الحسرة والندامة، يوم لا ينفع الندم.

التسلسل المنهجي لزيارة أمين الله

تسلسل زيارة أمين الله في أربعة أقسام، وهي كالتالي:

١- يأخذ القسم الأول منها الرّوح إلى شخصية الإمام علي عليه السلام في صفاته الإيمانية العظمى، لتتجسّد أمام الزائر صورة المثال الذي ترنو إليه كل النفوس وتشرأبّ له الأرواح.

٢- وفي قسمها الثاني ينتقل الخطاب من مخاطبة أمير المؤمنين عليه السلام إلى مخاطبة الله العلي القدير؛ لتسرح النفوس في ساحة القدرة الإلهية، مستنزلة المعين الذي يبلّغها ويقرّبها ناحية مواصفات الإمام سيد الكمال البشري، الذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير.

٣- وبعد رحلة الاستنزال هذه، يأتي القسم الثالث في عبارات الحمد والثناء على الله تعالى، كمناجاة تتجلّى فيها الأبواب المفتوحة للولوج منها إلى الله، وذلك ببيان القابليات التي أودعها الله في الإنسان لدخول تلك الأبواب، وبيان انفتاح أبواب السماء كتعبير عن واسع رحمة الله التي تجتذب المؤمن إليها.

٤- وفي القسم الرابع يقدّم الزائر طلبه لكي يكون كتلك النماذج المعصومية، فينصرف مقضي الحاجات، مستجاب الدعوات، مكفي الهموم.

يتمثّل سر التأثير لزيارة أمين الله كما هو حال الكثير من الزيارات، في الانطلاق من المثال المحبّب للنفوس والرمز الذي تشرأبّ له الأرواح في كماله عبر السلام عليه، ومن ثم الانتقال إلى طور الدعاء، الصاعد إلى السماء المتوجّه به إلى الله عزّ وجل.

والسلام ـ كما سنوضح ـ هو عبارة عن صفاء العلاقة بين الزائر والمزور، وعبارة عن اقتران روحي مسالم مع نور الإمام المعصوم عليه السلام، وعندما تتكون هذه الحالة في نفس الزائر يحصل الاقتران الروحي، فترنو نفس الزائر وتتطلع إلى التحليق نحو نور الإمام الصاعد نحو السماء، وهنا يجيء دور الدعاء، وهو امتثال الحاجات والنواقص التي تستشعرها النفس أمام كمال النور الرباني للإمام، فيستجمعها ليقدّمها بين يدي ربه عزّ وجل آملاً في تلبيتها إليه.

والدعاء نفسه ليس مجرّد تمنّي حصول الغايات الرفيعة، وسد النواقص المانعة، وإنما الدعاء بمفهومه الرسالي الصحيح هو مزيج بين الطلب والسعي، فيسعى الزائر لتوفير المقدّمات ويهيئ في نفسه ما يمكنه استقبال وانفعال طلباته تلك، فهذه هي المعادلة في التأثير العجيب للزيارة على نفس الزائر من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم.

الرجعة لنصرة القائم المهدي

إن رحلة الروح في زيارة أمين الله متجهة ناحية الارتقاء إلى تسلّم الأمانة، فتكون الشخصية رسالية في الحياة كما كانت شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، وهو بذلك يترقّى ويترقّى في مدارج الكمال، ليتأهل لنيل رضوان الله ورحمته ويدخل برساليته وروحه المتسامية في جنود الإمام القائم المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) وهذا هو كمال البشر دون المعصومين عليهم السلام أي التشرّف بأن يتوّج بتاج أنصار الإمام الحجة (عج)، ويؤكد الوصول إلى هذا الهدف قول الإمام الباقر عليه السلام في آخر زيارة أمين الله معلّقاً: «**مَا قَالَهُ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا عِنْدَ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَوْ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام، إِلَّا وَقَعَ فِي دَرَجٍ مِنْ نُورٍ، وَطُبِعَ عَلَيْهِ بِطَابَعِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، حَتَّى يُسَلَّمَ إِلَى الْقَائِمِ عليه السلام، فَيَلْقَى صَاحِبَهُ بِالْبُشْرَى وَالتَّحِيَّةِ وَالْكَرَامَةِ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى**»[1].

إن مجريات الأحداث في عصر الغيبة تتجه نحو غربلة المؤمنين، فما أكثر الفتن وأشدّها على المؤمنين، فمن ينجو منها فهو في فلاح ما بعده فلاح، وأي

١ - مصباح المتهجد، ج٢، ص٧٣٩.

غاية أفضل من أن يختم على المرء بخاتم النبي ﷺ كتعبير عن كمال دين الله الخاتم في إيمانه، ماضياً على نهج النبي ﷺ غير ناكر لسننه، ثم يسلّم صافياً من كل كدر إلى مولاه الإمام الحجة المنتظر عليه السلام الذي يقود راية الدين في آخر الزمان وينشرها في ربوع الأرض، محققاً القسط والعدل بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، هذا الاتصال بين النبي ﷺ الخاتم، وبين الإمام الخاتم هو الإيمان الكامل الذي قال عنه النبي ﷺ: (من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني)[1].

ولذا فإن معرفة الدين والهداية، والأمن من الضلالة، ملخّصة في معرفة النبي والحجة بعد معرفة الله تعالى، كما في الدعاء الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام: **(اللهمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ اللهمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ اللهمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي)**[2].

ففي نهاية المطاف، نكتشف أن الذي تروم زيارة أمين الله أن تحقّقه في الزائر، هو تأهله وخلوصه الإيماني، ليسلّم إلى إمامه القائم (عجل الله فرجه الشريف) راضياً عنه، سليم الإيمان، نقي الروح، قد تخطّى كل الامتحانات التي مرّت عليه، فذلك هو الفرج الحقيقي.

رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: مَتَى يَكُونُ فَرَجُكُمْ؟

فَقَالَ: **هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، لَا يَكُونُ فَرَجُنَا حَتَّى تُغَرْبَلُوا، ثُمَّ تُغَرْبَلُوا، ثُمَّ**

---

١ - تاريخ الغيبة الكبرى، ج٢، ص٢٨٨.

٢ - الكافي، ج١، ص٣٣٧.

تُغَرْبَلُوا، يَقُولُها ثَلَاثاً، حَتَّى يُذْهِبَ [الله تَعَالَى] الْكَدِرَ وَيُبْقِيَ الصَّفْو»[1].

وإذا كان الزائر بزيارة أمين الله يُسلّم إلى القائم، فهذا يعني أنه إما أن يوفق في مد عمره لظهور الإمام (عجل الله فرجه)، وإما أن يخرج من قبره بعد موته، مؤتزراً كفنه شاهراً سيفه ملبية دعوة الداعي عند الظهور المقدّس، وهذا معناه أنه يحضى بالإنضمام إلى زمرة من تشملهم الرجعة، وأي شرف أعظم من أن يكرّ راجعاً من بعد موته إلى العالم مرة أخرى ليتشرّف بنصرة إمام زمانه، فلا يرجع إليها إلا الأندر من النادر، ولا يوفق لها إلا الأكرم من الكرام، والأفضل من أهل الفضل، وهو اجتباء إلهي لا يسبقه فضل، وهذا ما يجعل زيارة أمين الله من أعظم الزيارات وأجلّها فضلاً، وأعودها مردوداً على الزائر.

وكذلك استظهر هذه الفضيلة الحر العاملي في كتابه (الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة)، قائلاً: «**الظاهر أنه يسلّم الي القائم عليه السّلام بعد ظهوره بقرينة الطبع وغيره، وان ضمير (يلقى) عائد إليه عليه السّلام، بل لا يحتمل غير ذلك، وهو وعد بالرجعة وإخبار بها لمن زار بالزيارة المذكورة على تقدير موته قبل خروجه عليه السّلام. مضافاً إلى التصريحات الكثيرة**»[2].

١ – الغيبة، للطوسي، ص٣٣٩.

٢ – الإيقاظ من الهجعة في البرهان على الرجعة، الحر العاملي، ص٢٣٧.

في رحاب أمين الله
شرح الزيارة (قسم السلام)

محطات ولوحات في حياة أمير المؤمنين

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَاأَمِينَ الله فِي أَرْضِهِ، وَحُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ. [السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ]. أَشْهَدُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِي الله حَقَّ جِهادِهِ، وَعَمِلْتَ بِكِتَابِهِ، وَاتَّبَعْتَ سُنَنَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، حَتَّى دَعَاكَ الله إِلَى جِوَارِهِ، وَقَبَضَكَ إِلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ، وَأَلْزَمَ أَعْدَاءَكَ الْحُجَّةَ ـ فِي قَتْلِهِمْ إِيَّاكَ ـ مَعَ مَا لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَةِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ.

لوحات الكمال

في بداية زيارة أمين الله يستعرض الزائر عدّة لوحات كمالية لأمير المؤمنين عليه السلام، من خلال السلام عليه ومناداته بتلك الأوصاف التي هي عبارة عن ما يؤمن به الزائر تجاه إمامه، والسلام هنا يعني أن الزائر في علاقة سليمة مع كل تلك المواصفات، وحالة مواءمة بين نفسه وفكره وعقيدته، وبين ما يردّده من عبارات هي عبارة عن لوحات ومشاهد من حياة الإمام علي عليه السلام، واعترافاً بفضله وجهوده التي بذلها في جنب الله تعالى، فأول خطوة هي تمثّل واستحضار تلك المشاهد الكمالية، والوقوف عند محطاتها من أجل الاستلهام منها، كي تحاول النفوس أن تطير بهمتها ناحيتها.

اشتياق وعناق الأرواح

قال أبو جعفر عليه السّلام: مضى أبي إلى قبر أمير المؤمنين عليه السّلام بالمجاز وهو من ناحية الكوفة فوقف عليه ثمّ بكى. ثم ذكر الزيارة.

البكاء عنوان للاشتياق الكبير، والدموع عناق صافٍ في عالم الأرواح، كذا هو وقوف الزائر أمام قبر الإمام عليه السلام، مستحضراً ما وقع عليه من المصائب، وما تحمّل من آلام، وما تجرّع من غصص، وما أنزله فيه الدهر من حال، كما يستحضر قائمة المقامات، وعلامات العظمة، وسجايا السمو في شخصية الإمام المزور، لابد من هذه اللحظات التي تخلق حالة تماس روحي مع الإمام عليه السلام، فتتعانق الأرواح وتتزوّد من منبع الزاد. إن خشوع القلب ودمع العيون علامات لحصول الاتصال الروحي، لذا فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في إذن الدخول في زيارة الإمام الحسين عليه السلام قوله:

«**فَإِنْ خَشَعَ قَلْبُكَ وَدَمَعَتْ عَيْنُكَ، فَهُوَ عَلَامَةُ الْإِذْنِ فَادْخُل**»[1].

وهكذا في الدعاء، الدموع هي المعبر والمنفذ إلى سماء العظمة، واستنزال غيث الرحمة الإلهية.

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرِّقَّةِ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ**»[2].

وقال الإمامُ الصَّادِقُ عليه السلام: «**إِذَا اقْشَعَرَّ جِلْدُكَ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاكَ، وَوَجِلَ**

---

١ - مصباح المتهجد، ج٢، ص٧٢٠

٢ - بحار الأنوار، ج٩٠، ص٣١٣

قَلْبُكَ، فَدُونَكَ دُونَكَ، فَقَدْ قُصِدَ قَصْدُك»[1].

في معنى السلام

لقد قيل[2] إن السلام هو التحية الإسلامية المعروفة عندما تقول (السلام عليكم)، وبناء على ذلك سيكون معنى السلام هو التحية بين طرفين كحالة تواصل اجتماعي، القصد منه التقارب والائتلاف وتعزيز المودة بين الطرفين، وقيل إن السلام جمع السلامة، فالسلام هو السلامة من جميع الآفات[3]، وقيل في هذا المعنى: «**السلامة عن النقائص والمضار وإعطاء الكمالات، هكذا في جميع الموارد، الدعاء الذي كان في مقام الإنشاء**»[4].

فبالرجوع للأصل اللغوي وللاستعمالات اللغوية والوضع الشرعي المتنوع، نرى أن السلام يتعدّد معناه، ويتحدّد معناه الدقي بحسب سياق الكلام وموضعيته من الزيارة، بل ويتعدّد بتعدّد الجهة التي يسلّم عليها، فينطلق الشارع المقدس ليعطي تحية السلام بين المؤمنين معاني وآفاق السلامة في العلاقة فيما بينهما، فإلقاء التحية بالسلام يعني اعترافاً بالعلاقة السليمة والآمنة من كل ما قد يشوبها بحسب طبيعتها كعلاقة اجتماعية، نجد ذلك في قول رسول الله ﷺ التالي:

---

١ – عدة الداعي، ص١٦٧

٢ – اقتبسنا قسم معنى السلام باقتضاب، من كتابنا زيارة الإمام الحسين، سماتها الربانية وآثارها التربوية.

٣ – لسان العرب، ج١٢، ص٢٩٠ باب سلم.

٤ – صداق الحور في شرح زيارة العاشور، ص٢٣، السيد حسن الساروي المازندراني، ت: ١٣٥١هـ ترجمة وتحقيق: أحمد بن حسين العبيدان الإحسائي، مكتبة فدك لإحياء التراث،ط: ١، ١٤٣٥هـ.ق

عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا فَضْلُ هَلْ تَدْرِي مَا تَفْسِيرُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله؟ مَعْنَاهُ عَلَى عَهْدِ الله وَمِيثَاقِهِ أَنْ لَا أَغْتَابَكَ وَلَا أَعِيبَ عَلَيْكَ مَقَالَتَكَ وَلَا أُرِيدَ زَلَّتَكَ فَإِذَا رَدَّ عَلَيْهِ وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ يَقُولُ لَكَ عَلَيَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله والله شَهِيدٌ عَلَى مَا يَقُولُون**»[1].

السلام في الزيارة

إن السلام نقيض الحرب، وبه يتبدّد الخوف والوجل، وهو مباين للنقص والضرر، وهو يعني أن يكون الإنسان في حال ملائم ومناسب من جميع الجوانب، فلا نقص فيما يحتاج إليه ولا زيادة تضر به، تماماً كما تحوّلت النار التي قذف فيها نبي الله إبراهيم بقصد تحريقه إلى برد وسلام بفضل الله تعالى، ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾[2]، فأصبحت مكاناً ملائماً للحياة، وكان في ذلك نجاة للنبي إبراهيم عليه السلام.

فالسلام نجاة من الهلكة والعذاب وكل سوء، فعندما أنزل الله تعالى العذاب على قوم لوط بعد أن جاؤوا بالفاحشة التي لم يسبقهم فيها أحد من العالمين، أنجى الله تعالى لوطاً ومن آمن معه ونشر عليهم السلام، حيث قال تعالى: ﴿**قُلِ الْحَمْدُ لله وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللهُ**﴾[3].

---

١ – مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، النص، ص: ١٩٩

٢ – سورة الأنبياء ٦٩

٣ – سورة النمل ٥٩

وكذا في قصة نوح التي يحكيها لنا القرآن الكريم، فقد أنجاه الله تعالى وسلّم عليه كجزاء لجهوده في تبليغ الرسالة، وإحسانه على الناس، يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ. وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ**﴾[1].

كما أن الآخرة هي دار السلام إذ ينزل الله فيها السلام على المؤمنين استحقاقاً وفضلاً منه عزّ وجلّ: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[2]، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، كما في قوله عز من قال: ﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ**﴾[3]، فهو تعالى مصدر السلام، حيث يقول: ﴿**إِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾[4]، حيث ينشر روح السلام في الأجواء التي يعيشها الإنسان المؤمن.

لهذا نلقي السلام على المؤمنين وعلى المرسلين، لأنه عنوان رحمة الله تعالى على خلقه، كما في قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ**﴾[5]، وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**يَا أَنَسُ سَلِّمْ عَلَى مَنْ لَقِيتَ يَزِيدُ اللهُ فِي**

١ – سورة الصافات ٧٥ – ٨٢
٢ – سورة الرعد، آية ٢٤
٣ – سورة الحشر آية ٢٣
٤ – سورة النور، آية ٦١
٥ – سورة يس، آية ٥٨

حَسَنَاتِكَ وَسَلِّمْ فِي بَيْتِكَ يَزِيدُ الله فِي بَرَكَتِكَ»[1]، وقال تعالى: **﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[2].

فإلقاء السلام على الآخرين هو وضع مفهوم السلام المعبّر عن الرحمة في البين، كرابط للعلاقة أو محدّد لهوية تلك العلاقة السليمة التي ينبغي أن تكون بين المؤمنين وهي التواد والتراحم والتعاون والتوحّد والمحبة وبذل الخير لهم، كما رسمها الإسلام في كافة تعاليمه وأحكامه.

فكما يتنزل السلام من الله على الأنبياء والمرسلين في ساحة حركتهم الرسالية في مواجهة الطواغيت والمكذّبين للحق، كما قال تعالى: **﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾**[3]، **﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾**[4]، **﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾**[5]، **﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾**[6]، **﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾**[7]، فإن الله تعالى ينزل السلام على من سار على نهجهم واتبع أثرهم، حيث يقول: **﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾**[8].

---

١ – بحار الأنوار، ج٧٣، ص٣، ح٥، العلامة المجلسي.

٢ – سورة الأنعام ٥٤

٣ – سورة الصافات آية ٧٩

٤ – سورة الصافات آية ١٠٩

٥ – سورة الصافات آية ١٢٠

٦ – سورة الصافات آية ١٣٠

٧ – سورة الصافات آية ١٨١

٨ – سورة طه ٤٧

ويتأكّد السلام في مواضع كما قال تعالى عن نبيه يحيى: ﴿**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً**﴾[1]، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «**إِنَ أَوْحَشَ مَا يَكُونُ هَذَا الْخَلْقُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ، يَوْمَ يُولَدُ وَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ فَيَرَى الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَمُوتُ فَيَرَى الْآخِرَةَ وَأَهْلَهَا، وَيَوْمَ يُبْعَثُ فَيَرَى أَحْكَاماً لَمْ يَرَهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَقَدْ سَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى يَحْيَى فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَوَاطِنِ وَآمَنَ رَوْعَتَهُ فَقَالَ: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ وَقَدْ سَلَّمَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام عَلَى نَفْسِهِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَوَاطِنِ فَقَالَ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾**[2].

نلخّص ما سقناه من دلالات السلام في الاصطلاح الديني، من خلال ذكر الآفاق التي تستظهر منه في وعي الزائر لتحقيق آثاره عليه، والآفاق هي الأبعاد العملية التي تترشّح من المعنى الذي يختزل في عبارة السلام، فنحن أمام مصطلح أساسي في الدين وفي المنهج التربوي الديني، ونحن إذ ننظر لتعدد الأبعاد، فهذا من باب تقليب النظر واستكشاف المزيد من الآثار ولو من ناحية عملية لهذا الفعل أو ذاك، فكما أن صلاة المؤمن تسوقه للاقتراب من المعروف وتدفعه عن معاقرة المنكر، فهي تحقق له مراداً آخر عندما ينظر للأفق الذي يكون بينه وبين الله عزّ وجل، فسيكتشف أن الصلاة هي صلة صافية بينه وبين ربّه، فيستمد من خلالها القوة المعنوية اللازمة، ويستعين

١ – سورة مريم، آية ١٥

٢ – تفسير الصافي، للفيض الكاشاني، ج٣،ص٢٧٦

بها لمواجهة تحديات الحياة، كما أن الصلاة بالنسبة للمصلي في بعد هويته، ستكون عموداً للدين، وهكذا شأن السلام فإن له عدة أبعاد نذكرها مما ترشّح من البحث السابق.

فهنا بعدان:

١- البعد الإلهي، وفيه ثلاثة معانٍ، هي:

أ- أن الله يفيض عليه بالسلام، وهو مستحق له، ومستوعب لكل حياته.

ب- أن العلاقة بين الله والإمام هي علاقة سلام لا شائبة فيها، لا شائبة من شرك ولا شك.

ج- أن الإمام هو النقطة التي يتوجّه إليها السلام الإلهي، ليشع منه على سائر الخلق، فالسلام أحد مصاديق الرحمة الإلهية التي تنبعث عبر أهل البيت عليهم السلام، لسائر الخلق.

٢- البعد التربوي، وفيه ثلاثة معانٍ:

أ- السلام يعني أن علاقة المسلم والزائر بالإمام هي علاقة سلام لا شائبة فيها، من ناحية العقيدة والتسليم له، وبين السلام والتسليم اندماج، حيث إن السلام مصدر التسليم.

وهو هنا بمعنى الدعاء، أي أنه يسأل الله تعالى أن يجعل علاقته علاقة سلام مع الإمام، وهو بمعنى الإقرار، أي هو معترف أنه في واقعه متسالم مع

الإمام، وكلا المعنيين مطلوبان.

ب- السلام بمعنى إظهار الموقف تجاه الإمام، والتموضع في الانتماء للإمام في مواقفه، فهذا يعني الإيمان بقضية أهل البيت عليهم السلام كما يكرّر المقولة: إني سلم لمن سالمكم، وعدو لمن عاداكم، إلى يوم القيامة.

ج- السلام على الإمام كتحية وتعظيم، وهي استدعاء لروح الإمام والتلاقي الروحي معها.

(١)

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللّه فِي أَرْضِهِ

السلام: مرّ شرحه.

أمين: الأَمَانَةُ: نَقِيْضُ الخِيَانَةِ، وهو مَأْمُوْنٌ وأَمِيْنٌ ومُؤْتَمَنٌ. والفرق بين الأمين والمأمون: أن الأمين الثقة في نفسه، والمأمون الذي يأمنه غيره.

تبدأ الزيارة بمد القلوب بالسلام لتصافح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في صفة من أسمى صفاته الربانية، وهي أنه أمين الله في أرضه، فهو الطريق المأمون من قبل الله تعالى على دينه، كما أن جبريل أمين في نقل الوحي من رب الجلال إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فينقله كما شاءت الإرادة الإلهية له أن ينزل، كلمة بكلمة وحرفاً بحرف، لا يزيد ولا ينقص، كما قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[1].

---

١ - سورة الشعراء ١٩٢ - ١٩٤

وتنتقل الأمانة في مفهومها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو الأمين في تبليغه الرسالة كما أرادها الله تعالى، ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾[1]، فلا يتقوّل على ربه ولا يخفي ما أمره الله به، ﴿**تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾[2]، حتى وصل إلى الانطباق التام في كل أقواله وحركاته مع الوحي الإلهي بدقة متناهية، فانحصر نطقه ومنطقه تحت إرادة الوحي الإلهي، فقال تعالى عنه:

﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[3].

إن من أهم الضمانات التي جاء بها أنبياء الله إلى أقوامهم، هي أنهم صرّحوا بأنهم أمناء الله، وقد جاء في كتاب الله على ألسنتهم:

﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**﴾[4].

هذه مقولة نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى عليهم السلام، كل ذلك تأكيداً على الانطباق التام بين ما أراده الله تعالى أن ينزل، وما نزل بالفعل لأهل الأرض، وهذا الانطباق التام في الأمانة يسري إلى الإمام علي عليه السلام، فهو أمين الله في أرضه على أهل الأرض، والأمانة هذه هي حفاظ على وديعة رب العالمين، وهي دينه الذي ارتضاه للعالمين، لأن الأمين هو

---

١ - سورة التكوير ١٩ - ٢١

٢ - سورة الحاقة ٤٣ - ٤٦

٣ - سورة النجم ٣ - ٥

٤ - سورة الشعراء ١٠٧ - ١٧٨

الذي إذا أودعت لديه الأمانة حافظ عليها أشدّ الحفظ، فلا يتصرّف فيها ولا ينقصها ولا يبدلها بأي نحو من الأنحاء، وأمانة أمير المؤمنين عليه السلام هي امتداد لأمانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، في حمل الرسالة بعده من خلال الولاية التي لا تختلف عن مهام الرسالة إلا في أنها لا وحي نبوي جديد فيها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[1].

إننا نقف أمام مشهد رباني مهيب، يتمثل في أن أمير المؤمنين عليه السلام له ذلك الامتداد النوراني مع السماء، فصار حبل الله المتين، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، وتجلبب بهيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمانته العظيمة، فأي شخصية هي تلك التي كانت لأمير المؤمنين عليه السلام، تسامت في العروج، حتى صارت نفسه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن الكريم[2]، ولذا فإن كل ما يقوم به الإمام عليه السلام هو مأمون موثوق مرتبط بالله كما يريده الله تعالى، فلا يخطئ فيما يقول أو فيما ينتهجه من نهج، فهو محل القدوة لمناهج الحياة كلها، وهذا معنى العصمة وحقيقتها.

(أمين الله)، أي اختاره الله تعالى لتحمّل الأمانة، ولا يسلّم الله تعالى أمانته إلا لمن أحاط به علماً، بمعدنه وأصالته، بقوة إيمانه وهديه، باستقامته التي لا تحيد، كضمانة أبدية تمكّنه من إيصال الأمانة إلى أهل الأرض بأجمعهم، ولأن الله عليم بما يفعل، وحكيم فيما يحكم، فإننا ضامنون أن كل الأمانة التي استودعها رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قد أودعها قلب علي أمير المؤمنين عليه السلام،

١ - المحاسن، البرقي، ج١، ص١٥٩، عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢ - إشارة إلى الآية ٦١ من سورة آل عمران.

فالأخذ منه، أخذ من رسول الله ﷺ، وهو أخذ من الله عزّ شأنه.

فهو (أمين الله في أرضه)، فلا يمكن أن يجد الباحث مهما جدّ البحث، على أمين آخر في كل الأرض غير الإمام علي عليه السلام بعد رسول الله ﷺ، أما بعده فالأمانة متصلة في الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

لنستمع إلى الإمام زين العابدين عليه السلام يحدثنا عن أمانتهم لله في الأرض:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نَجْرَانَ قَالَ: كَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام رِسَالَةً، وَأَقْرَأَنِيهَا، قَالَ:

«قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: إِنَّ مُحَمَّداً ﷺ كَانَ أَمِينَ الله فِي أَرْضِهِ، فَلَمَّا قُبِضَ مُحَمَّدٌ ﷺ كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَثَتَهُ، وَنَحْنُ أُمَنَاءُ الله فِي أَرْضِهِ، عِنْدَنَا عِلْمُ الْبَلَايَا وَالْمُنَايَا، وَأَنْسَابُ الْعَرَبِ، وَمَوْلِدُ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاهُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَحَقِيقَةِ النِّفَاقِ، وَإِنَّ شِيعَتَنَا لَمَكْتُوبُونَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، أَخَذَ الله عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ، يَرِدُونَ مَوْرِدَنَا، وَيَدْخُلُونَ مَدْخَلَنَا، نَحْنُ النُّجَبَاءُ، وَأَفْرَاطُنَا أَفْرَاطُ الْأَنْبِيَاءِ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَوْصِيَاءِ، وَنَحْنُ الْمَخْصُوصُونَ فِي كِتَابِ الله، وَنَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِالله، وَنَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ الله، وَنَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِدِينِ الله، وَنَحْنُ الَّذِينَ شَرَعَ لَنَا دِينَهُ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ: شَرَعَ لَكُمْ ـ يَا آلَ مُحَمَّدٍ ـ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً، وَقَدْ وَصَّانَا بِمَا أَوْصَى بِهِ نُوحاً، وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمُوسى وَعِيسى وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، فَقَدْ عَلَّمَنَا، وَبَلَّغَنَا مَا عَلِمْنَا، وَاسْتَوْدَعَنَا عِلْمَهُمْ، نَحْنُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَنَحْنُ وَرَثَةُ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،

أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ يَا آلَ مُحَمَّدٍ، وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، وَكُونُوا عَلَى جَمَاعَةٍ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَنْ أَشْرَكَ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ وَلَايَةِ عَلِيٍّ إِنَّ [اللهَّ] الله يَا مُحَمَّدُ، يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ مَنْ يُجِيبُكَ إِلَى وَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام»[1].

في طريق الإمام

وعند السلام على أمير المؤمنين عليه السلام بصفة الأمانة، فهذا يعني خلق جسر من نور بين الزائر وبين هذه الصفة في الإمام عليه السلام، ليقترن الإيمان بولايته على أنها أمانة من الله تعالى، كما يتطلع الزائر إلى أن يكون مثالاً لمولاه في بعد الأمانة التي حمّلها إيّاه الله عزّ وجل:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[2].

وإن كان لا يمكن أن يترفّع إلى أمانة الإمام كونها من الله تعالى، استحقاقاً لعظمته التي تشرفت بذلك، إلا أنه يتشبّه بها، فيمضي في تسلّم أمانته وهي المسؤولية التي ألقاها ربّه عليه، فيكون ممتثلاً لله في طاعته، مقتدياً بإمامه في تبليغ رسالته، موصلاً الحجة البالغة إلى المحتاجين لها، وهم كافة عباد الله، الذين خاطبتهم الرسالة كي يدخلوا من باب الحق أفواجاً.

---

١ – بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، ج١، ص: ١١٩

٢ – سورة الأحزاب ٧٢

(٢)

وَحُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ

الحجة: بضم الحاء وتشديد الجيم: الوَجْهُ الذي به يَقَعُ الظَّفَرُ عند الخُصُوْمة، ويقال: حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه.

إن لله الحجة البالغة على عباده، قد أتمّها كي لا يتعذر متعذر، ولا يلتوي على الحق ملتوٍ، فقد قال تعالى: ﴿**قُلْ فَللهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾[1]، ومن مظاهر الحجة البالغة أنه تعالى أرسل الرسل والأنبياء، ثم نصّب من بعدهم أوصياء أمناء على دينه، فأصبحوا بتصدّيهم لشؤون الناس حُججاً على العباد، والحجة هي أن لا يدع حيرة في عقل إلا هداه إلى الصراط المستقيم، ولا يدع مجالاً لتساؤل إلا سدّه بالإجابة الشافية، ولا يدع شكّاً إلا ردمه باليقين والاطمئنان، وهذه حال أمير المؤمنين عليه السلام حيث جابه كل التحديات بعلمه اللدني النازل من عند الله عزّ وجلّ، فأصبح حجة الله على العباد.

أن يكون الإمام علي عليه السلام حجة، فهو إذاً القادر على الظفر عند

---

١ - سورة الأنعام ١٤٩

الخصومة، والقادر على التبيين عند الغموض، والقادر على الدلالة عند الضياع والحيرة، ولأنه حجة الله، فالاحتجاج مصدره الله تعالى، فيصبح الإمام هو الملجأ في كل تلك الحاجات، ولذا ورد في زيارته عن الإمام الصادق عليه السلام: «**بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَاحُجَّةَ الْخِصَام**»[1].

وورد في زيارة أخرى لأمير المؤمنين عليه السلام «**السَّلَامُ عَلَى الصِّرَاطِ الْوَاضِحِ وَالنَّجْمِ اللَّائِحِ وَالْإِمَامِ النَّاصِحِ وَالزِّنَادِ الْقَادِحِ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ**»[2].

حجة ذاتية

ومن الدلالات المهمة، التي ينبغي ملاحظتها عند السلام على أمير المؤمنين عليه السلام، بأنه (حجة الله)، أي أن ذات علي عليه السلام وشخصية علي عليه السلام، هي حجة الله على العباد، وهذا البعد بالغ الأهمية، فإن المنصف صافي القلب من كل كدر وحقد، لا يحتاج إلى دلائل على إمامة الإمام علي عليه السلام، وأحقيته، ومكانته في الإسلام، بل في تاريخ البشرية كعظمة منقطعة النظير، فإن سيرة الإمام علي عليه السلام وشخصيته، هي بذاتها حجة لله على العباد، وهو بذاته دليل على الحق، وهذا المعنى نجده في قول الله تعالى:

﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**﴾[3].

---

١ - فرحة الغري، ص٩٥

٢ - المزار، للشهيد الأول، ص٤٧

٣ - سورة هود ١٧

وفي معنى (يتلوه شاهد منه) ورد عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَّالِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام، عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: **(أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ)؟**

فَقَالَ: «**أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ، الشَّاهِدُ عَلَى رَسُولِ الله** صلى الله عليه وآله وسلم، **وَرَسُولُ الله** صلى الله عليه وآله وسلم **عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ**»[1].

فالآية جعلت الإمام علي عليه السلام شاهداً على صدق النبوة، وهو دليل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيّنات أخر من ربه، تجلّت في معجزاته، فإن الإمام علياً عليه السلام هو معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يمكن لمن تعرّف على شخصيته أن يتعرّف على الحق، وبذلك يكون الإمام حجة الله على العباد.

والإمام (حجة الله على العباد)، يقتضي أن يكون شاهداً عليهم، والشهود هو الحضور الفاعل في الأمة، كما أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكما يرسل الله تعالى الرسل ليكونوا شهداء على الناس، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الله فَضْلًا كَبِيرًا**﴾[2].

---

١ - الكافي، ج١، ص١٩٠

٢ - سورة الأحزاب ٤٥ - ٤٧

دلالة العباد

التساؤل في كلمة عباده في النص (حجته على عباده)، هو كيف يكون حجة على العباد، ويفترض فيهم أنهم قد وصلتهم الحجة وآمنوا بها فأصبحوا عباداً، وفي المقابل أن الذين يحتاجون إلى الحجة هم الناس كافة، لأن الدين جاء للجميع؟

وفي الإجابة عن هذا التساؤل نقول: إما لأن (العباد) هو وصف يمكن إطلاقه على جميع الخلق باعتبارهم مسبّحين لله تعالى كل بطريقته، وإن كنا لا نعلم تسبيحهم، كما هو مدلول الآية الكريمة: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾[1].

وقد قيل في بعض آراء العلماء أن التسبيح تسبيحان: تسبيح عن إرادة وعلم، وهو ما يسبح به المؤمنون، وتسبيح قهري تكويني، لعلّه يعبّر عن الدور الذي يؤديه في حياته ضمن النظام الكوني العام.

ومن ضمن المعاني الممكنة، أن الحجة باعتبارها قائمة ومنبلجة للعباد الذين آمنوا بها، أما سائر الناس فينبغي أن ينفتحوا على شخصية أمير المؤمنين ليدخلوا في دائرة العباد، فالحجة قائمة إلى درجة أنها متاحة للجميع، ويمكن لهم أن يستوعبوها، فهي حجة على العباد الذين استقبلوها، أي استحكمت الحجة عليهم.

---

١ - سورة الإسراء ٤٤

وقد يكون المعنى أنهم عباد الله بحسب الأصل والفطرة، الذين يفترض أن يكونوا عباده.

وقد يكون التعبير بالعباد لقوة الحجة ومتانتها، التي يمكنها أن تجعل من كل الخلق عباداً إذا تم التعرّف عليه، فنزلهم منزلة العباد.

السلام مع الحجة

التسليم على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بصفة الحجة، يجعل الزائر متصالحاً مع هذا البُعد، فيكون الإمام حجة عليه في سيرته بعد أن يتعرّف عليها، وينتهج نهجها، في خلقه وتعامله مع الناس، ومع المختلفين، ومع الحكام، ومع سائر الأشياء، فالزائر بهذا السلام يفتح نوافذ عقله لاستقبال المعارف العلوية المقدّسة، التي بهر بها العقول، كي يقدّم الإمام علي عليه السلام لغيره كحجة بالغة ليهتدي بهديها الناس.

وفي جهة أخرى، يخلق من نفسه أنموذجاً يحتذى في شخصيته، كي يكون مثاراً للإعجاب بالحق، ويصنع من شخصيته، شخصية جذابة للدين، كما كان أمير المؤمنين عليه السلام، فيسعهم بأخلاقه، فيكون الزائر حجة بعمله في الناس.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

١ - سورة البقرة ١٤٣

أما البرنامج الذي يستحضره الزائر في شهادته على الناس هو الأساس الذي أسّسه القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[1].

وقد انتهج الإمام علي عليه السلام هذا النهج، فأصبح هو النهج العملي المتفاعل مع الحياة، الذي يُقتفى أثره، ويُنتهج نهجه.

١ - سورة الحج ٧٧ - ٧٨

(٣)

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

من ضروريات الإيمان هو الاعتقاد بأن أمير المؤمنين الأوحد هو الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، فلا يشترك معه أحد في هذا اللقب اللّامع والوسام الإلهي المقدّس، فهو أمير منصّب من الله تعالى لا يحتاج إلى هيكل مادّي كي يمارس أمارته على المؤمنين، ولا يحتاج إلى نظام سياسي مبسوط على الناس كي تكون تعاليمه نافذة، فهذه الأمارة متعلّقة بالمؤمنين، فأينما وجد المؤمنون فأميرهم الفعلي والحقيقي هو الإمام علي عليه السلام، يأخذون منه مبتغاهم ويأتمرون بأوامره حتى لو لم يستلم منصب الخلافة المادي، لأن هذه الأمارة هي (ميرة العلم) لا (ميرة المال) كما سيأتي بيانه.

إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ليس هو الخليفة الرابع كما يحلو للبعض تسميته، إنما هو الخليفة الأول، والخليفة الحقيقي، وهو الصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، كما عبّر عن نفسه، فإن ألقاب أمير المؤمنين التي كانت أوسمة أعطيت له في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقاء تفانيه وجهاده، ولمقامه الرباني، قد

عمل الحكام الجائرون على سرقتها بالتعاون مع زمرة المؤرخين التابعين لهم، فما بقيت فضيلة إلا ونسبوها لغيره من أعدائه، وما بقي وسام إلا وقلّدوه غيره، كي يلبسوا الحق بالباطل، ولكن الزبد يذهب هباء، وما ينفع الناس يمكث في الأرض يحييها وينبتها، فأوسمة الإمام علي عليه السلام مندغمة في شخصيته وفي صفات العظمة فيه، فكل من قرأ تاريخه عرف هذه الحقيقة، أما غيره، وإن أطلقوا على أنفسهم لقب أمير المؤمنين جوراً، فقد فضحهم تاريخهم وبانت مساوؤهم ومواطن ضعفهم، ليظهر الحق ويعود بازغاً إلى أهله.

لقد ورد في النهي عن تسمية غير الإمام علي عليه السلام أمير المؤمنين:

عَنْ عُمَرَ بْنِ زَاهِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْقَائِمِ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ؟

قَالَ: **لَا، ذَاكَ اسْمٌ سَمَّى الله بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ- وَلَا يَتَسَمَّى بِهِ بَعْدَهُ إِلَّا كَافِرٌ**»[1].

في معنى الأمير

الإِمْرَةُ: الإِمَارَةُ، وأمِيْرٌ مُؤَمَّرٌ، وأمَرَ علينا فلانٌ: وَلِيَ، ولكَ عَلَيَ أمْرَةٌ مُطَاعَةٌ. وفي مجمع البحرين: الإِمْرَةُ بالكسر: الولاية.

يفهم من ذلك أن المعنى هو الإمرة لأمير المؤمنين هي ولايته التي تستوجب طاعته، والامتثال إليه، وهذا المفهوم معتمد على الدلالة

١ - الكافي، ج١، ٤١٢

اللغوية، إضافة إلى سياق استخدام التعبير في الروايات وفي تاريخ أمير المؤمنين نفسه، حيث جاء في التعبير ذكر إمرته للمؤمنين مقابل إمرة معاوية لأهل الشام، كما في كلام الإمام علي عليه السلام لأهل الكوفة: «**أَلَا تَرَوْنَ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْكُوفَةِ.. إلى أن قال: وَالْعَجَبُ مِنْكُمْ وَمِنْ أَهْلِ الشَّامِ، أَنَّ أَمِيرَهُمْ يَعْصِي اللهَّ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ، وَأَنَّ أَمِيرَكُمْ يُطِيعُ اللهَّ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَه**»[1].

إلا أن بعض الروايات أشارت إلى أن سبب منشأ تسمية أمير المؤمنين بهذا اللقب، لأنه يمير المؤمنين بالعلم، وهذه الروايات:

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ ثَابِتِ بْنِ دِينَارٍ الثُّمَالِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ الله، لِمَ سُمِّيَ عَلِيٌّ عليه السلام أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ وَهُوَ اسْمٌ مَا سُمِّيَ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ؟

قَالَ: «**لِأَنَّهُ مِيرَةُ الْعِلْمِ، يَمْتَارُ مِنْهُ وَلَا يَمْتَارُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرُهُ**»[2].

وأيضاً ورد عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، لِمَ سُمِّيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

قَالَ: **لِأَنَّهُ يَمِيرُهُمُ الْعِلْمَ، أَمَا سَمِعْتَ كِتَابَ الله عَزَّ وَجَلَ: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنا﴾**»[3].

---

١ – الغارات، ج١، ص٢٧

٢ – علل الشرائع، ج١، ص١٦٠

٣ – علل الشرائع، ج١، ص١٦١

وللتوفيق بين المعنيين للمازندراني كلام جميل في ذلك:

«قال: (لانه يميرهم العلم) الميرة بكسر الميم وسكون الياء: الطعام، يمتاره الانسان ويجلبه للبيع وغيره، تقول: مار أهله يميرهم ميراً، إذا أتاهم بالميرة وأعطاهم إياها، وقد شبّه العلم بالطعام فى الاغتذاء به، لأن أحدهما غذاء روحانى، والآخر غذاء جسمانى، قال الفاضل الأسترآبادي من المعلوم ان الأمير مهموز الفاء، وأن يمير أجوف، ولك أن تقول قصده عليه السلام أن تسميته بأمير المؤمنين ليس لأجل أنه مطاعهم بحسب الدنيا، بل لأجل أنه مطاعهم بحسب العلم أى الأحكام الإلهية، فعبر عليه السلام عن هذا المعنى بلفظ مناسب فى الحروف للفظ الأمير.

قوله: «أما سمعت فى كتاب اللهّ ﴿**وَنَمِيرُ أَهْلَنَا**﴾ أى نعطيهم الميرة، ولعل الغرض من ذكره، هو التنبيه على أنه يفهم منه وجه التسمية، بأدنى تأمل فليتأمل»[1].

السلام مع الأمير

امتثالاً لكلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الذي قال في غدير خم للمسلمين: «**سَلِّمُوا عَلَى عَلِي بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِين**»[2]. يتوجه الزائر بقلبه للسلام على الإمام علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، وسلامه هذا يعطي دلالة السلامة بين الزائر وبين الإمام

١ – شرح أصول الكافي، المازندراني، ج٧، ص٤٦

٢ – تفسير القمي، ج١، ص٣٨٩، والكافي، ج١، ص٢٩٢

بوصفه أميراً من الله تعالى للمؤمنين، فينجذب نحو صفات المؤمنين، كي يكون منهم، فيتشرّف بأن يكون الإمام علي عليه السلام أميره حقاً.

وبهذا يربي الزائر نفسه عبر تلقينها وتعريفها أن الإمام علياً عليه السلام هو أميرها، الذي ينبغي أن تأتمر بأوامره، وتنتهي عن ما نهى عنه.

(٤)

أَشْهَدُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِي اللّه حَقَّ جِهادِهِ

جاهدت: الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقة، تقول: اجْهَد جَهْدَك؛ وقيل: الجَهْد المشقة والجُهْد الطاقة، والجهاد محاربة الأَعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أَو فعل.

يقف الزائر أمام الضريح المطهّر مردّداً عباراته ومعتقداً بقلبه: أشهد أنك جاهدت في الله حق جهاده، فإن جهاده كان في الله، ولإرساء تعاليم الله، وإقامة حدود الله تعالى، فالجهاد لدى الإمام علي عليه السلام ليس مجرّد فتوّة شبابية أو قوّة أسطورية مجرّدة عن أي قيمة، إنما شجاعة الإمام علي عليه السلام وجهاده الذي تغنى به الأدباء ودرسه المفكرون من كل الأطياف والمذاهب والأديان، يصب في طريق القيم الإلهية مناصرةً للحق في كل صوره وفي كل ساحاته، والحق يعني أن تسود قيم العدل الإلهي بين الناس وإلغاء مظاهر عبودية الإنسان لأخيه الإنسان جسدياً ونفسياً وفكرياً، وهو الطريق الذي يحققه الإسلام في واقع الأمم.

الجهاد أن يبذل الإنسان جهده وكل ما في وسعه في سبيل إيمانه، وجهاد أمير المؤمنين هو ببذل كل جهوده في سبيل إيمانه بالله تعالى، فكان (حق الجهاد): أي الجهاد حقاً، والجهاد كما أراد الله وكما ينبغي، فلم يدّخر جهداً إلا بذله، ولم يضنّ بنفسه في أي موقف يتطلّبه الدين ونداءه الرسالي، فلم يشبهه أحد ممن التحق بركب الرسالة، فكان المثال الأبرز واللوحة الأنصع، والفارس المقدّم في سوح الجهاد وميادين البراز المقدّس، فمن جاهد في الله حق الجهاد وصل إلى غاية المقصد وحقق ما يرومه ويأمله، وقد قال الإمام علي عليه السلام في هذه الحقيقة: «**مَنْ بَذَلَ جُهْدَ طَاقَتِهِ بَلَغَ كُنْهَ إِرَادَتِه**»[1].

إن لوحة الجهاد لأمير المؤمنين عليه السلام لوحة لم يتوفّر في تاريخ البشرية أبهى وأنصع وأكثر جاذبية منها، فحياة الإمام لم تكن حافلة بالجهاد في سبيل الله فحسب، بل هو معجون بحياته الرسالية من أولها إلى آخرها، فقد سطر أروع مصاديق الجهاد منذ نعومة أظفاره عندما التحق بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أول بعثته فكان أول الرجال إسلاماً، وكان بذلك قد جنّد نفسه وقدّم روحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوجهها أينما تتطلبه إرادة الله ومصلحة الدين.

فلم يكن يبالي بالموت عندما يكون رضا الله هو الهدف المنشود، ولا يهتم لأي أذى عندما تكون الأهداف الرسالية هي المبتغاة.

فغزوات الإسلام المحمّدي تشهد لأمير المؤمنين عليه السلام بعظمة الجهاد، كغزوة أحد وبدر وكذا غزوة الخندق، ففي غزوة بدر التي حقق فيها

١ - تصنيف غرر الحكم، ص٤٤٤

المسلمون نصراً مؤزراً على قريش التي كانت تمثل قوى الشر مبالغة في عداوتها للإسلام والمسلمين، قد سجّل الإمام علي عليه السلام أروع سطور الجهاد في التاريخ، فقد شهد بريق سيفه له بالبطولة في حصد رؤوس عتاة الكفر، فتساقطت كل الإرادات من حوله، وانبثق النصر المؤزّر من بين يديه، ثم تفتحت أبواب السماء للملائكة يقدمهم جبرئيل، حتى نشروا في كل السماء صوتاً يردد شعاراً خالداً: «**لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي**»[1]، وقد سمع الناس تلك الشهادة الإلهية في حق جهاد أمير المؤمنين عليه السلام.

كما أن بيانات الصدق الصادرة من شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقّه خير دليل، وهو الذي قال عنه «**إن أفرس الناس علي بن أبي طالب**»[2]، عندما قيل له إن أفرس الناس عمرو بن معدي كرب. وفي بيانات الإمام علي عليه السلام في حق نفسه تظهر عوالم الشجاعة، فقد «كان يخرج في أيام صفين وحده بغير حماية، فقيل له: تقتل أهل الشام بالغداة وتظهر بالعشي في إزار ورداء؟ فقال عليه السلام: «بالموت تخوّفني؟ فوالله ما أبالي سقطت على الموت أم سقط عليّ»[3].

فجهاد أمير المؤمنين لا يُستشهد عليه بأنه حق الجهاد، بل يُستشهد به لكل جهاد أريد منه أن يكون في طريق الجهاد الحق، وكما قال جورج جرداق ذلك المفكر المسيحي في جهاد الإمام علي عليه السلام: «عبر تاريخنا الطويل مبعث أمل لكل مغصوب وصيحة أمل لكل مغصوب وصيحة تتردّد على لسان كل

١ – انظر الكافي، ج٨، ص١١٠، مروياً عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢ – موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام، للقرشي، ج١، ص١١٠، عن رسائل الجاحظ، ٢:٢٢٢

٣ – موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، للقرشي، ج١، ص١١١ عن العقد الفريد ١:١٠٢

مظلوم، وحصناً يفزع إليه كل من ضيّقت عليه الحياة. فما من طالب إنصاف في هذا التاريخ إلا اسم علي ملاذه. وما من غاضب على ظلم إلا واسم علي درعه. وما من ساخط على رشوة أو فساد أو جور إلا وله من علي وتراثه حافز على الثورة»[1].

وكما قال الأديب المسيحي نصري سلهب عن الإمام عليه السلام: «الذي تجسّدت في زنده طاقة السماء، وجرت في حدّ سيفه غضبة الله»[2].

آفاق الجهاد

الجهاد في الله تعالى لا يقتصر على بذل الوسع في ميادين القتال والدفاع عن الدين بالقوة، بل هو مجهود يشمل كل ما يصب في طريق الله من جهد، كالجهاد بالمال، والجهاد بالكلمة الطيبة في ميادين العلم والدفاع عن العقيدة، وكالجهاد مع الشيطان في ميدان النفس، وهو الجهاد الأكبر، وفي كل تلك الميادين سطّر الإمام علي عليه السلام أروع الأمثلة، فكان الباذل كل ما يملك في سبيل الله، وكان المعلّم الأكبر للإنسان، وصار بذلك باب مدينة العلم وهو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وفي جهاد النفس كان سيد الخاشعين ومعلّم المخلصين.

---

١ – الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر، راجي أنور هيفا، ص٣٢٢، عن جورج جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج٥، ص١٨٦

٢ – المصدر نفسه، عن نصري سلهب، في خطى علي، ص٢٩٢

السلام مع الجهاد

عند سلام الزائر بصفة الجهاد لأمير المؤمنين، فهذا يعني مد جسر السلامة مع روح الجهاد التي كانت تدبّ في كل كيان أمير المؤمنين، وبذلك يستحضر الزائر الأمر الإلهي في قوله عزّ وجل:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[1].

كي يمضي على إثر إمامه في جهاده، فيعترف له أولاً بأنه الأوحد في ميادين الجهاد، ثم يتعاهد نفسه بتجريعها جرعات الفاعلية في ميدان الجهاد في سبيل الله تعالى، ليبلغ مقامات المجاهدين عند الله تعالى، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، قَالَ:

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ: « **أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ الله لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَسَوَّغَهُمْ كَرَامَةً مِنْهُ لَهُمْ، وَنِعْمَةٌ ذَخَرَهَا، وَالْجِهَادُ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ الله الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ**»[2].

وكي ينال ما وعد الله تعالى به من يجهاد في سبيله، فقد قال عزّ اسمه:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

---

١ - سورة الحج ٧٨
٢ - الكافي، ج٥، ص٤
٣ - سورة العنكبوت ٦٩

(٥)

وَعَمِلْتَ بِكِتَابِهِ

العمل بالكتاب، أي تطبيق ما في القرآن الكريم من تعاليم، وتنفيذ ما جاء فيه من أوامر.

لم تكن كلمة (وعملت بكتابه) في حق أمير المؤمنين عليه السلام كلمة عادية، بل هي شهادة ربانية وعقيدة راسخة في قلوب المؤمنين، فإن الاعتقاد بأن أمير المؤمنين عليه السلام عمل بالكتاب ـ كتاب الله المجيد ـ يعني أن كل أعماله هي طبق للكتاب، ومصداق حقيقي لآياته، وخطواته مقتفية بدقّة بصائر الآيات القرآنية في الحياة، بل إن هذه العبارة تعني أكثر من ذلك، تعني الانطباق التامّ بين أعمال الإمام علي عليه السلام وبين القرآن الكريم، وهذا يعني أن لدينا نسخة بشرية من كتاب الله، لا تختلف قيد أنملة عن الحروف التي سطرتها يد القدرة الإلهية، والحكمة الربانية في أقدس كتاب أنزله الله على البشرية، وهو في سعته مهيمن على كل الأديان والرسالات.

فكما أن القرآن الكريم (هدى للمتقين) فإن الإمام علياً عليه السلام، هو

(إمام المتقين)، وكما أن القرآن (بصائر وهدى)، فإن الإمام علياً عليه السلام هو عنوان البصيرة وميزان الهداية، وكما أن القرآن الكريم (شفاء ونور) فإن الإمام علياً عليه السلام هو (الطبيب والمنير) للنفوس سبلها، وللعقول مناهجها، وكما أن كتاب الله (يهدي للتي هي أقوم)، فإن أمير المؤمنين عليه السلام هو الهادي للأمة، وكما أن الكتاب (يهدي إلى الرشد) فإن الإمام علياً عليه السلام هو (عنوان الرشاد)، وكما أن الكتاب أحسن تفسير، فإن الإمام هو أحسن التأويل، فكان من كل ذلك هو (الكتاب المبين).

فالإمام علي هو ترجمان القرآن وحسب، وكفى بهذه الصفة منزلة لا تضاهيها منزلة.

وعندما نريد أن نقرّب عظمة كلمة (وعملت بكتابه) في إطلاقها، فلنقرأ كيف وصف الإمام علي عليه السلام القرآن في هداه، لنعي عظمة الإمام عليه السلام في هديه.

قال عليه السلام: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، زِيَادَةٍ فِي هُدًى، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ؛ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ، فَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا**

تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ، وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ، فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُم»[1].

فهذه عظمة القرآن في رشده وهداه، ومن جهة أخرى يقرر لنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة انطباق أعمال علي عليه السلام مع القرآن الكريم، في كل تفاصيلها، وإلى أن يقف الناس يوم القيامة على الحوض عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كدلالة استمرار ذلك الانطباق وعدم انفكاكه أبداً، قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَهُ، لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْض»[2].

العمل بالكتاب هو الغاية من العلم بالكتاب، فلا يكفي أن يتداول العلم في الرأس دون أن ينطلق متحركاً في رحاب الحياة، وقد قال الإمام علي عليه السلام: **«إِنَّ أَوْضَعَ الْعِلْمِ مَا وَقَفَ عَلَى اللِّسَانِ، وَأَرْفَعَهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَان»**[3].

والإمام عليه السلام هو العالم بالكتاب العامل به، وقد ورد فيه قول الله تعالى:

---

١ - نهج البلاغة، ص٢٥٢

٢ - الأمالي، للشيخ الطوسي، ص٤٦٠

٣ - بحار الأنوار: ج٢، ص٥٦

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[1].

السلام مع القرآن الناطق

عند السلام على أمير المؤمنين عليه السلام بصفة أنه العامل بكتاب الله تعالى، يمد الزائر يد المصافحة مع الإمام في التسالم مع ضرورة الجانب التطبيقي لكتاب الله تعالى، كي يعرض الزائر نفسه على الكتاب ليرى أين هو من كتاب الله، ثم يسعى للاهتداء بهديه.

كما أن الزائر بهذا السلام يعمق الاعتقاد بالعصمة القرآنية للإمام علي عليه السلام، ويجدد العهد معه بكونه حبل الله الممدود بين السماء والأرض، وهو وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اقترانه بالكتاب في الهداية من الضلال، فالحق منحصر فيما وافق كتاب الله، وطابق هدي الإمام علي عليه السلام.

١ - سورة الرعد ٤٣

(٦)

وَ اتَّبَعْتَ سُنَنَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم

سنن: السُّنَّةُ: الطريقة والسيرة، والجمع سُنَن. وفي المجمع[1]: السنة في الصناعة هي طريقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وفعلاً وتقريراً، أصالةً أو نيابةً.

إن الشهادة التالية التي يتوجه الزائر بالسلام بها على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد العمل بالكتاب، هي أنه عليه السلام الذي قام باتباع السنن التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتباعاً مطابقياً، وهذا يضعنا أمام حقيقة مهمة وبالغة الدقة، وهي أن الامتداد العملي للرسالة المحمدية الخالدة تمثّلت في الإمام علي عليه السلام وفي نهجه القويم، لأن كل الصحابة يدّعون أنهم اقتفوا أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سننه، كي يثبتوا خلو أفعالهم من الزلل، وكي يبرئوا ساحتهم من التهم، وفي الحقيقة أنهم بدّلوا سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأحدثوا في دين الله تعالى، وابتدعوا في الإسلام البدع، وأثاروا أوار الفتنة، وانقلبوا على أعقابهم، وبهذا شهد التاريخ وأنبأت عنه الأحداث.

---

١ - كتاب مجمع البحرين.

وسنة النبي تعني كل ما جاء به النبي ﷺ من أحكام وبيانات وتعاليم وقيم تطبيقية في حياته الشريفة، وكل ما اتخذه من مواقف ودعى له من أوامر، ففي الإصطلاح قد تطلق السنة على العمل الديني المندوب، أي مقابل الوجوب، وقد تطلق على ماجاء به النبي ﷺ من أحكام مباشرة، سواء من المندوب أو الواجب، أي السنة مقابل الكتاب، وقد يراد بها ما يشمل عمل النبي وقوله وتقريره لأفعال الآخرين، وفي الجملة، فإن المعنى من سنن النبي ﷺ في سياق نص الزيارة، هو عموم النهج الذي انتهجه النبي ﷺ كحالة مطابقة بين نهج الإمام علي عليه السلام ونهج النبي ﷺ في كل تفاصيله، فكما كان بالنسبة للقرآن الكريم عاملاً به، فهو هكذا بالنسبة للنبي الكريم ﷺ، فقد اقتفى سنّة النبي ﷺ وأحياها، مقابل من ابتدع في الدين، وخالف النبي ﷺ.

إن النبي محمد ﷺ هو نبي ورسول الله الخاتم إلى يوم الدين، وحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، كل ذلك طبقّه الإمام علي عليه السلام، وكان أفضل مثال اقتدى واقتفى أثره حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة منذ نعومة أظفاره، وهو الذي قال عن هذه المرحلة في اتباعه للنبي ﷺ: «**وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِه**»[1].

١ - نهج البلاغة، ص٣٠٠.

فلقد كانت علامات اتباع الإمام علي عليه السلام سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياة النبي كثيرة، وهي دلائل لمن أراد أن يتبصّر الحقيقة، فلقد آخى بينه وبينه، عندما آخى بين المهاجرين والأنصار، فقد جاء عَنْ سَعْدِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخَى رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ أُخُوَّةَ الدِّينِ، وَكَانَ يُؤَاخِي بَيْنَ الرَّجُلِ وَنَظِيرِهِ، ثُمَ أَخَذَ بِيَدِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقَالَ: هَذَا أَخِي.

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَرَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ فِي الْأَنَامِ شِبْهٌ وَلَا نَظِيرٌ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخُوهُ»[1].

فكانت تلك المؤاخاة بمثابة اتحاد بين شخصين واندماج واعٍ لشخصية الإمام علي عليه السلام في شخصية النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فصار أذنه الواعية التي تتلقّف كل ما يصدر عن النبي من معارف وعلوم.

عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: جَاءَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام، وَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ فَقَالَ: يَاعَلِيُّ، نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ هَذِهِ الْآيَةُ: (وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ)، وَ إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ، اللهمَّ اجْعَلْهَا أُذُنَ عَلِيٍّ، فَفَعَل»[2].

ولأن الإمام علي هو الأذن الواعية، فهو المبلّغ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل ما يصدر عنه، وهو المتحدّث الرسمي الذي له كل الحق في الإخبار عن سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

١ – الأمالي، للشيخ الطوسي، ص٥٨٧

٢ – مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها، علي بن جعفر العريضي، ص٣٣٠

عَنْ حُبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِي**»[1].

وبذلك أصبح علي عليه السلام هو الباب المرضي من النبي ﷺ لأخذ سننه ومن ثم اتباعها، فمن أرادها ناصعة صافية، لا يأخذها إلا عن طريق الإمام علي عليه السلام، لأنه الطريق الوحيد المأمون على السنّة، وقد اتبعها كما اتبع القرآن الكريم.

قال رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا، وَهَلْ تُدْخَلُ الْمَدِينَةُ إِلَّا مِنْ بَابِهَا**»[2].

وكان عليه السلام لا يساوم في ذلك ولا يدخل آراء واجتهادات أدعياء الدين في حكمه وأفعاله، فعندما حصلت قضية الشورى بعد موت الثاني، وأرادوا مبايعته على شرط العمل بكتاب الله وسنة النبي ﷺ واجتهاد الشيخين، رفض ذلك رفضاً صريحاً، ليعلن لهم أن هذا الأمر لابد أن يكون ربانياً خالصاً لا تدخله الأهواء ولا تشوبه المطامع، رفض تحريف سنة النبي ﷺ بسنن غيره ممن لا يمثلونه، فقال: (بل على كتاب الله وسنة رسول الله واجتهاد رأيي)[3]، واجتهاده عليه السلام يمثل غاية وسعه في تطبيق الكتاب واتباع السنة، ويعني تطبيق قيمهما على الواقع المعاصر، فهو من النبي ﷺ، وباب علمه الذي منه يؤتى.

---

١ – المسترشد في إمامة علي، للطبري، ٦٢٥، نقله مسند أحمد والبخاري وغيره.

٢ – الأمالي، للصدوق، ص٣٤٥

٣ – الإمام علي بن أبي طالب، من حبه عنوان الصحيفة، الهمداني، ص٧١٥، عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١، ص١٨٧

سنن النبيين

فإن الزائر يشهد بأن الإمام علي عليه السلام متّبع وممثل لسنن نبيه، ولما يمثله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكانة كونية وتشريعية في كل الرسالات السماوية، فهذا يعني أن الإمام عليه السلام هو الامتداد لكل تلك الرسالات في جوانبها التطبيقية الحقيقية، هو وجه الأنبياء كلهم في أفضل ما يمتلكون من مواصفات ربانية خالدة، وبذلك يجمع في شخصيته كل فضائل الأنبياء والمرسلين وزيادة، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله، إِذْ قَامَ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ شُكْراً لله تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ:

يَا جُنْدَبُ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ، وَإِلَى نُوحٍ فِي فَهْمِهِ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي خَلَّتِهِ، وَمُوسَى فِي مُنَاجَاتِهِ، وَعِيسَى فِي سِيَاحَتِهِ، وَأَيُّوبَ فِي صَبْرِهِ بِبَلَائِهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ المُقْبِلِ، الَّذِي هُوَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ السَّارِي، وَالْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ، أَشْجَعُ النَّاسِ قَلْباً وَأَسْخَاهُمْ كَفّاً، فَعَلَى مُبْغِضِه لَعْنَةُ الله تَعَالَى.

قَالَ: فَالْتَفَتَ النَّاسُ لِيَنْظُرُوا مَنْ هُوَ المُقْبِلُ؟ وَإِذَا بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام[1].

السلام مع سنن النبي

من خلال السلام على الإمام علي عليه السلام بأنه متبع لسنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهو يطلق شهادته في الإمام كممثل صادق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامتداد لنهجه الشريف، كما أن روح الزائر تعقد صلة بينها وبين سنن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فتتطلّع نحوها، بغية التطبيق في كل مفاصل الحياة.

---

١ – الفضائل، لابن شاذان، ص٩٨

(٧)

حَتَّى دَعَاكَ اللّه إِلَى جِوَارِهِ وَقَبَضَكَ إِلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ

شهادة تامة لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه أمين الله وأمير المؤمنين وحجة الله في أرضه، وقد جاهد في الله حق جهاده، وعمل بالكتاب العزيز، واتبع السنة النبوية الشريفة، حتى آخر نفس من حياته الطاهرة، فلم يكن عمله عليه السلام واتصافه بتلك الأوصاف المعظّمة مؤقتة بوقت، بل استمر ذلك حتى دعاه الله إلى جواره في جنان الخلد والمقام الأبدي عند العرش المقدّس، لم يتغيّر، ولم يبدل نعم الله عليه، لم ينقلب على عقبيه كما انقلب الآخرون بعد ارتحال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قال تعالى عن تلك الطائفة:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

الشاكرون لأنعم الله وألطافه هم الملتزمون بخط الرسالة المحمدية،

١ - سورة آل عمران ١٤٤

وهم الذين لم يحيدوا عنها قيد أنملة، ولذلك يحسدهم الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولذلك فإن من لم يكن في خط الشاكرين فهو في خط الكفر والانحراف، كما جاءت بذلك آيات الله: ﴿**وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾[1]، ومن التزم بخط الشاكرين؛ فإن له العطاء من الله تعالى جزاء التزامه هذا ﴿**وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[2]، والإمام علي عليه السلام بالتزامه واستقامته بخط الرسالة المحمدية الأصيل، مثّل بذلك قمّة الصبر، وصار آية عالمية لكل (صبّارٍ شكور).

جـوار اللّـــه

ماذا يعني جوار الله؟

في اللغة: الجارُ هو الذي جاوَرَكَ في المَسْكَنِ. والذي اسْتَجَارَكَ في الذِّمَّةِ تُجِيْرُه وتَمْنَعُه، والجَارُ الذي يجير غيره: أي يؤمنه مما يخاف.

إن الموت قد يكون للمرء بمثابة هلاك للإنسان، إذا كان المصير الذي ينتظره هو مصير سوء وعاقبة سوء، ولكن إذا كان الموت واقعاً على المؤمن فهو دعوة من الله تعالى لما فيه الخير العميم إليه، والتعبير هنا جاء بدعاك الله، أي أن هذه دعوة من الله تعالى إلى الإمام علي عليه السلام، لينال ما هو مدّخر له في الآخرة من خير عند الله تعالى، وهذا الخير، هو الجيرة مع الله تعالى، والجيرة

---

١ – سورة البقرة ١٥٢

٢ – سورة آل عمران ١٤٤

المتعلقة بالله ليست كالجيرة بين المخلوقين الذين تجمعهم مساحة مكانية واحدة، لأن الله تعالى لا يكون قريباً من خلقه بالمعنى المادي، إنما هي الجيرة بمعنى الإجارة من أي خوف، فيكون في كنف الله تعالى وحمايته، لا يصيبه سوء، وهذا حال المؤمن عندما يقبض الله روحه إلى جواره. قال تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾[1].

وقال عزّ وجل: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[2].

فالمؤمنون الذين يكون الحب في الله تعالى هو الذي يرسم نهجهم في علاقاتهم بالآخرين، وتكون جهودهم المبذولة في مؤازرة بعضهم البعض منبثقة من الإخلاص لله تعالى، فأولئك هم جيران الله تعالى في الآخرة، الذي يؤمنهم الله من كل خوف.

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فِي حَدِيثٍ قَالَ:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ، يَسْمَعُ آخِرُهُمْ كَمَا يَسْمَعُ أَوَّلُهُمْ، فَيَقُولُ: أَيْنَ جِيرَانُ الله جَلَّ جَلَالُهُ فِي دَارِهِ؟ فَيَقُومُ عُنُقٌ مِنَ النَّاسِ

---

١ - سورة الفجر ٢٧ - ٣٠

٢ - سورة النحل ٣٢

فَتَسْتَقْبِلُهُمْ زُمْرَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَقُولُونَ مَا كَانَ عَمَلُكُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَصِرْتُمُ الْيَوْمَ جِيرَانَ الله تَعَالَى فِي دَارِهِ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَتَحَابُّ فِي الله، وَنَتَوَازَرُ فِي الله تَعَالَى. قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ الله تَعَالَى: صَدَقَ عِبَادِي. خَلُّوا سَبِيلَهُمْ، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى جِوَارِ الله فِي الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: فَهَؤُلَاءِ جِيرَانُ الله فِي دَارِهِ، يَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ، وَيُحَاسَبُ النَّاسُ وَلَا يُحَاسَبُونَ»[1].

وَقَبَضَكَ إِلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ

القَبْضُ: خِلافُ البَسْط.

ويعبّر عن الموت بقبض الروح، ويبدو انه تعبير عن انتهاء الأجل الذي كان مبسوطاً في الحياة، فكما أن الله تعالى يطوي السماوات في القيامة، فالإنسان كذلك تطوى صفحة حياته، ويُقبض، وقد قال تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

وفي ذلك دلالة على هيمنة الله تعالى وتحكّمه في ملكه، فيجازي كل واحد بعمله، ولكن ماهي دلالة الاختيار هنا في عبارة (باختياره)؟

لقد التزم الإمام عليه السلام على نهجه الحق، حتى أتاه أمر الله وقبضه الله

---

١ – وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٧٠

٢ – سورة الزمر ٦٧

باختياره، فالزائر برغم إيمانه بتلك العظمة العلوية العليا، فإنه يؤمن قاطعاً بأن ارتحال العظماء لا يكون إلا بإرادة إلهية وضمن سنّة الله في الموت، فهو حق على كل مؤمن ومؤمنة، حيث يرتحل العظيم بجسده وتبقى روحه التي جسّدت كل ألوان الفضيلة ترفرف فوق حياة كل الأجيال بتقادمها وتجدّدها.

إن الموت بالنسبة للظالمين والمتخاذلين والمنحرفين هو نهاية لهم، حيث يسدل الستار على ظلمهم فيبقون سيرة ملعونة في التاريخ، ولكن الموت بالنسبة للعظماء هو سلّم الصعود إلى طبقات الكمال وامتداد لآيات العظمة.

وكلمة قبضك إليه باختياره، إشارة إلى فشل كل الإرادات الظالمة التي تتوهم أنها ومن خلال حشد جهودها وبذل كل الإمكانات تستطيع أن تطفئ نور الله تعالى في الأرض، فإن موت العظماء لا يقدّمه ولا يؤخّره مكر الظالمين، إنما يتم ذلك باختيار الله تعالى، فإن لم يرد الله أن يُقبض فلن تستطيع كل الدنيا أن تقبضه، وإن أراد الله أن يُقبض، فلن يمنعه من ذلك مانع مهما بلغ من قدرات، لأن الله تعالى بالغ أمره، وبيده ملكوت السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير.

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[1].

١ - سورة الصف ٧ - ٨

وقال عزّ وجل:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾[1].

وفي دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام:

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ وَلَا لِعَطَائِهِ مَانِع»[2].

فإن الله تعالى هو الذي اختار له تلك المكانة السامقة في ارتفاعه شهيداً، ليتبوأ مكانته التي رتّبه الله فيها، ومرتبته التي أعدّها لنفسه بجهاده وجهوده، وفي نص زيارة أخرى لأمير المؤمنين عليه السلام مروية عن الإمام الصادق عليه السلام، جاء فيها:

«وَسَلَّمَ إِلَيْكَ الْقَضَاءَ، وَعَبَدَكَ مُخْلِصاً حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، فَقَبَضْتَهُ إِلَيْكَ شَهِيداً سَعِيداً وَلِيّاً تَقِيّاً رَضِيّاً زَكِيّاً هَادِياً مَهْدِيّا»[3].

---

١ - سورة آل عمران ١٤٥

٢ - إقبال الأعمال، ج١، ٣٣٩

٣ - المصباح، للكفعمي، ٦٨٦

(٨)

وَأَلْزَمَ أَعْدَاءَكَ الْحُجَّةَ ـ فِي قَتْلِهِمْ إِيَّاكَ ـ مَعَ مَا لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَةِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ

لله الحجة البالغة على جميع الخلق بأمير المؤمنين عليه السلام في مقامه وفضله وعلمه، وبولايته التي ظهرت عياناً وشاعت أفضاله في الآفاق ووصلت مآثره لكل البشر، ففضله عليه السلام كالغيث ينزل على كل الأرض، فلا يستفيد منه إلا من جهّز الإناء أو حفر الأخاديد في الأرض كي يمر الماء للحرث فيسقيه ويروي ظمأه، أما من أهمل ذلك فلا يمكنه الاستفادة من غيث السماء على كثرته، وأفضال أمير المؤمنين وأحقيته تحتاج إلى أوعية القلوب أن تتفتح لتستقبل الحقائق العلوية المتصلة بالسماء.

ولذلك كل طلاب للحقائق استلهموا من الإمام علي عليه السلام وتحدّثوا إعجاباً منقطع النظير عن فضائله، حتى أولئك الذين لا يؤمنون بدين الإسلام، حيث إنهم مثال بارز ومنصف لذلك، لم تتحكم فيهم العصبيات ولم تغلّف عقولهم الأهواء والأحقاد، فهذا الكاتب المسيحي جورج جرداق

الذي ألّف كتابه في خمسة مجلدات تحت عنوان (علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية) ساطراً أروع الكلمات البحثية مستظهراً عظمة الإمام في مواضيع العبقرية والسياسة والحقوق وسائر الفضائل، ومما قال: (علي بن أبي طالب فذّ من أفذاذ العقل. وهو بذلك قطب الإسلام وموسوعة المعارف العربية، ليس من علم عربي إلا وقد وضع أصله أو ساهم في وضعه)[1].

ويقول توما كارلايل: (إن العناق المبكر بين روح محمد وروح علي، والتقاء يد محمد بيد علي الصغيرة وقتذاك في بيعة الدار، كان له أبلغ الأثر في تغيير مسيرة التاريخ)[2].

وينشد الشاعر المسيحي بولس سلامة في ملحمته الخالدة (عيد الغدير) فيما يقول:

ودعاهم لله، للنور، للجنّـ ... ـات خضراً على الزمان الأبيدِ
قال: قد جئتكم بإيمان إبرا ... هيم، بالوحي، بالضياء الرشيدِ
أيّكم يتّبع هداي ويمشي ... في لوائي يكن أخي وعمودي
قال: إني لها وإن كنت غضّ الـ ... ـعمر فالسيف للعتاة بريدي
وإذا بالنبي يرسل قولاً ... رنّ في مسمع الزمان البعيدِ
أنت مني وارثي ووزيري ... وعلى الحوض أنت بكر شهودي[3].

١ – الإمام علي في الفكر المسيحي، ص٤١٢، عن جورج جرداق، ج١، ص٩٧
٢ – المصدر، ص١٥٥، عن توماس كارلال، الأبطال، ص٧٦
٣ – المصدر، ص١٦٠، عن بولس سلامة، عيد الغدير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦، ص٤١

ويقول المفكر المسيحي (كونسلمان) في كتابه سطوع نجم الشيعة: (واستطاع علي عليه السلام في هذه البلاد أن يطبّق مبادئ حكمه، وأن يحقق مبادئه المثالية كحاكم عادل، ولم يستطع أحد أن يقول عنه إنه ارتكب باطلاً. وإلا أن استقامته كانت مكمن نهايته)[1].

وقد عبّر عن حقيقة النجم العلوي المتألق في سماء الدنيا (يان ريشار) في كتابه الإسلام الشيعي، بقوله عن الإمام عليه السلام: (شقّ طريقاً وأنشأ نموذجاً خالداً للإنسانية، وقد أظهر دوماً لكل إنسان، أنه إنسان نموذجي.. وهكذا نرى نحن أنه كل يوم، يزداد حياة وأننا بحاجة إليه دوماً، وأن القلوب التي تهتزّ للإنسانية، والحرية والعدالة والنقاء... تتجه أكثر وأكثر إليه وإلى إمامته)[2].

ألزم قاتليه الحجة

ومع ما للإمام علي عليه السلام من الحجة البالغة على سائر الناس، فإن الله تعالى ألزم أعداءه الذين ناصبوه العداء والذين تقمّصوا حقه وحقوقه الحجة، وإلزامهم الحجة لما شهد به سائر الخلق، وما شهده كل من عايشه، وهم من ضمنهم كانوا يرون الفضائل تتحرك في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وفي سلوكه.

---

١ - المصدر، ص٢٢٣ عن جرهاردكونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ص٣٥

٢ - المصدر، ص٢٦٦، عن يان ريشار: الإسلام الشيعي، ص٣٧

بل وقد شهدوا بألسنتهم بفضله عليه السلام وألزمهم الله بما صدر عنهم من صريح البيان، فالحق أبلج يأبى الله إلا أن يظهره، ولو احتشد له وتكالب عليه كل شياطين الأرض، ولو كره المشركون والمنافقون، والفضل ما شهدت به الأعداء.

لقد ألقى الحجة على جميع أعدائه، فلم يدعهم يخالفونه دون أن يوضّح لهم مواضع أخطائهم، بل حتى الخوارج الذين ناصبوا له العداء وانقلبوا عليه بعد التحكيم، فلقد حاورهم الإمام عليه السلام عدة مرات، وبين لهم كل ما أشكلوا فيه عليه، وقد اعتمد تذكيرهم بالوقائع التي عايشوها، واستدل لهم بالقرآن الكريم، وأوضح لهم جهات الشبه بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التعامل مع أعدائه، وبتلك المحاورات رجع خلق كثير عن غيّهم، وفي إحدى المحاورات تراجع ثمانية آلاف شخص عن ما كانوا يؤمنون به من عداء لأمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن البعض أصر واستكبر، ولم يستمع لصوت الحق يدوّي في الآفاق بصوت الإمام علي عليه السلام.

جاء في بعض نسخ الزيارة النص: «**وَأَلْزَمَ أَعْدَاءَكَ الْحُجَّةَ**» من دون عبارة «**فِي قَتْلِهِمْ إِيَّاكَ**»، والفرق أن من دونها، يشمل المعنى إقامة الحجة على جميع أعداء أمير المؤمنين عليه السلام، منذ أن بزغت شمس الإسلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحتى بعد شهادته وانقلاب القوم على الخلافة التي أوصاهم بها صلى الله عليه وآله وسلم، مروراً بكل فصول حياته حتى واجه معاوية في خلافه، فقد ألزم الله تعالى الحجة عليهم، والتاريخ يشهد بكل الجهود التي بذلها الإمام علي عليه السلام

في بيان حقّه، وما اتضح فيه فضله ومقامه الباهر.

كما أن الحجة قد ألزم بها المباشر لقتل الإمام عليه السلام، وهو عبد الرحمن بن ملجم، فقد تقابل معه الإمام عدة مرات، وأشار له بضلالته وبنية السوء التي ينويها، فـ «حينما اتاه عبد الرحمن بن ملجم ليبايعه، نظر علي في وجهه طويلاً، ثم قال: أرأيتك إن سألتك عن شيء وعندك منه علم، هل أنت مخبر عنه؟ قال: نعم، وحلّفه عليه، فقال: أكنت تواضع الغلمان وتوقم عليهم، وكنت إذا جئت فرأوك من بعيد، قالوا: قد جاءنا ابن راعية الكلاب؟ فقال: اللهم نعم.

فقال له: مررت برجل وقد أيفعت (صرت يافعاً) فنظر إليك نظراً حاداً فقال: أشقى من عاقر ناقة ثمود؟ قال: نعم. قال: قد أخبرتك أمك أنها حملت بك في بعض حيضها؟ فتعتع هنيئة، ثم قال: نعم. فقال الإمام: قم. فقام، قال عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: قاتلك شبه اليهودي بل هو يهودي.

وقد تكرر منه عليه السلام أن رأى ابن ملجم فقال: أريد حياته ويريد قتلي»[1].

إن الإمام علي عليه السلام نموذج فريد في عالم العظمة، فقد اجتمعت الأصوات على فضائله ومناقبه، وصارت أناشيد يتغنّى بها كل الأحرار ولا يخالف ذلك إلا المكابر والمعاند والمفتري الذي طبع الله على قلبه، وأبعده عن الحق وعن رائد الحقيقة.

---

١ - الإمام علي من المهد إلى اللحد، السيد كاظم القزويني، ص٢٦٥

بناء الشخصية
شرح الزيارة (قسم الدعاء)

عروج في سماء علي عليه السلام

اللهمَّ فَاجْعَلْ نَفْسِي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ- رَاضِيَةً بِقَضَائِكَ مُولَعَةً بِذِكْرِكَ وَدُعَائِكَ مُحِبَّةً لِصَفْوَةِ أَوْلِيَائِكَ مَحْبُوبَةً فِي أَرْضِكَ وَ سَمَائِكَ صَابِرَةً عَلَى نُزُولِ بَلَائِكَ شَاكِرَةً لِفَوَاضِلِ نَعْمَائِكَ ذَاكِرَةً لِسَوَابِغِ آلَائِكَ مُشْتَاقَةً إِلَى فَرْحَةِ لِقَائِكَ مُتَزَوِّدَةً التَّقْوَى لِيَوْمِ جَزَائِكَ مُسْتَنَّةً بِسُنَنِ أَوْلِيَائِكَ [أَنْبِيَائِكَ] مُفَارِقَةً لِأَخْلَاقِ أَعْدَائِكَ مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيَا بِحَمْدِكَ وَ ثَنَائِكَ.

بعد أن يقف الزائر أمام عظمة أمير المؤمنين عليه السلام مستحضراً آيات الفضل والعظمة، وبعد أن اعتقد أنه عليه السلام:

- الأمين على دين الله في كل أرض وبلاد.
- والحجة على كل العباد إلى يوم المعاد.
- وأنه متوّج بالأمارة على كل المؤمنين.
- وأن لا سيف إلا سيفه رمزاً للجهاد وأصله.
- وأنه ترجمان القرآن، والناطق به.

- وأنه السائر على نهج الرسول وسننه.

وقد ألزم العباد والأعداء بكل آيات الفضل تلك، تتطلع النفوس ناحية هذا المثال العظيم وهذا المقام الفريد وتبتغي أن تمتطي براقاً ليعرج بها في سماء أمير المؤمنين عليه السلام لترتقي في مداد كماله وتسبح في بحر شمائله، فتجأر النفوس إلى بارئها بالدعاء الخالص لتكتسب الخلق الذي تربّى عليه الإمام علي عليه السلام صغيراً، ونشأ عليه شابّاً ولزمه حتى أودع في قبره الشريف، ثم استطال نوراً لكل العالم.

هنا تنتقل زيارة أمين الله بالزائر من ساحة (السلام) على صاحب أرقى الشمائل، إلى طلب الإمساك بنهجه الشريف في الحياة، وهو انتقال من صيغة التوجّه للإمام عليه السلام بـ (السلام)، إلى صيغة التوجّه إلى الله تعالى بعبارات (الدعاء)، فالنفس مهيئة الآن لتعرج إلى السماء، فقد أسّست لها قاعدة انطلاق رصينة، وهي بمثابة دافع قوي للتطلع إلى الأفضل، وتقديم الإمام علي عليه السلام بين يديه عبر السلام عليه، لهو أفضل وسيلة لاستنزال الرحمة الإلهية، لينال دعاؤه القبول والرضى.

كما أن للدعاء في المفهوم الإسلامي جنبة تربوية أخرى لا ينبغي إغفالها، وهي ارتباطه بالسعي والأداء وتوفير المقدّمات وتحصيل الأسباب كي يوفقه الله تعالى للتخلّق بذاك الخلق العظيم، وتبدأ النفس برحلة العروج.

هذا حال زائر أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو يقف عند البقعة البيضاء التي تلمع نوراً من قبره الشريف، في زيارته تفتح له السماء لتستقبل دعواته المشحونة بالتطلعات ، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، قوله:

«**إِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَتُفَتَّحُ عِنْدَ دُعَاءِ الزَّائِرِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام**»[1].

فالزائر يترقّب لحظات يضمن فيها نفاذ دعواته إلى السماء عبر أبوابها، وكون الزائر في موقع الزيارة قد أمسك بسلطان من الله تعالى وهو كونه ممتثلاً بالزيارة لأمير المؤمنين عليه السلام، فتفتح السماء أبوابها، لينفذ إليها مستجاب الدعوة، مقبول الطاعة.

فتبدأ فصول الدعاء في زيارة أمين الله:

١ - المقنعة، للشيخ المفيد، ص٤٦٢

(١)

اللهمَّ فَاجْعَلْ نَفْسِي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ، رَاضِيَةً بِقَضَائِكَ.

الاطمئنان: طُمَأْنِينَةً بضم الطاء: سكن ولم يقلق.

القَدَر: عبارة عما قضاه الله وحكم به من الأمور.

القضاء: قضى يَقْضي قَضَاءً وقَضِيَّةً: أي حَكَمَ. وقيل المراد منه الخلق، وقضاء الله هو الإبرام والإمضاء الذي لا مرد له.

«بين القضاء والقدر فرق هو أن القدر: هو ما يسنّه الله للكون من أنظمة، بينما القضاء هو تنفيذ تلك السنن أو تدخل مباشر للغيب لتغيير مجرى الأقدار»[١].

أولى صفات الشخصية الربانية أن تكون نفسه في حالة اطمئنان بما قدّر لها، ومستشعرة للرضا بما قضى عليها.

يتوجه الدعاء ليشمل النفس، نفس الزائر، تلك النفس المتأرجحة في عالم

١ – من هدى القرآن، المرجع السيد محمد تقي المدرسي، ج٣، ص٢٠١

متقلب، تتجاذبها الشهوات والأطماع، والهواجس والمخاوف، تلك النفس التي يتملّكها الشح فتضيق بها الدنيا بما رحبت، ويستحوذ عليها حب البقاء فتصاب بالهلع، إنها نفس لا تعرف التوازن، ما لم ترتبط بالله تعالى، وما لم تتخذ لها نهجاً معصوماً ينجيها مما هي فيه، فتنساب في معادلات الدنيا مع الله تعالى، كما كان أمير المؤمنين عليه السلام، مطمئناً بالقدر، راضياً بالقضاء، لأنه يعي تماماً أن ذلك كله من الله تعالى.

النفس المطمئنة بالقدر والراضية بالقضاء، هي أقوى النفوس على الإطلاق، فلا يهزها أمر من تحديات الدنيا ولا يخيفها عدو، فالخارطة والنتائج واضحة لديها من خلال إيمانها بالقضاء والقدر.

جاء في الكافي: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام جَالِساً بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ، إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ فَجَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِنَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ، أَبِقَضَاءٍ مِنَ الله وَقَدَرٍ؟

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: **أَجَلْ يَاشَيْخُ، مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً وَلَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَادٍ إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ الله وَقَدَرٍ.**

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: عِنْدَ الله أَحْتَسِبُ عَنَائِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ لَهُ: **مَهْ يَاشَيْخُ، فَوَالله لَقَدْ عَظَّمَ الله الْأَجْرَ فِي مَسِيرِكُمْ وَأَنْتُمْ سَائِرُونَ، وَفِي مُقَامِكُمْ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ، وَفِي مُنْصَرَفِكُمْ وَأَنْتُمْ مُنْصَرِفُونَ، وَلَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ مِنْ حَالاتِكُمْ مُكْرَهِينَ، وَلَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ.**

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: وَكَيْفَ لَمْ نَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْ حَالاتِنَا مُكْرَهِينَ وَلَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ، وَكَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ مَسِيرُنَا وَمُنْقَلَبُنَا وَمُنْصَرَفُنَا؟

فَقَالَ لَهُ: وَتَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ قَضَاءً حَتْماً وَقَدَراً لَازِماً! إِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَالزَّجْرُ مِنَ اللهِ، وَسَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، فَلَمْ تَكُنْ لَائِمَةٌ لِلْمُذْنِبِ، وَلَا مَحْمَدَةٌ لِلْمُحْسِنِ، وَلَكَانَ الْمُذْنِبُ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ مِنَ الْمُحْسِنِ، وَلَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ. تِلْكَ مَقَالَةُ إِخْوَانِ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَخُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ، وَقَدَرِيَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَجُوسِهَا.

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيراً، وَنَهَى تَحْذِيراً، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يُمَلِّكْ مُفَوِّضاً، وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلًا، وَلَمْ يَبْعَثِ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ عَبَثاً، ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

فَأَنْشَأَ الشَّيْخُ يَقُولُ:

أَنْـتَ الْإِمَـامُ الَّذِي نَرْجُـو بِطَاعَتِهِ ... يَـوْمَ النَّجَـاةِ مِـنَ الرَّحْمَـنِ غُفْرَانـاً
أَوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنَا مَا كَانَ مُلْتَبِساً ... جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَـانِ إِحْسَانا[1]

الإطمئنان بالقدر

إن الله تعالى يقدّر للنفس الإنسانية ما ينفعها في دينها ودنياها،

١ - ١ - الكافي، ج١، ص١٥٦

والاطمئنان بقدر الله هو حسن ظن بالله تعالى، بل هو يطلب أن يكون قدره قدراً خيّراً كي تطمئن نفسه لما سيصيبها، فيمكن للإنسان أن يغيّر من واقعه إن كان في قدره ما هو سيئ، كمن يكتب له الفقر، أو المرض، أو الاضطهاد، أو يجد نفسه بعيداً عن ساحة المؤمنين، لأي سبب من الأسباب المؤثرة في قدره هذا، فمن خلال السعي والجد والدعاء، يتغير الطريق المرسوم له، فتنفرج لها طرقات الخير من نفحات الرحمة الإلهية.

لذلك فإن من المهم أن يسعى الإنسان لبلوغ الاطمئنان بقدر الله له، ويبتعد عن النفس الجامدة التي لا تسعى ولا تأمل في خير الله، وتخلد إلى ماهي فيه من شؤون الدنيا، وتستغرق في طلب الملذات، وتطمئن لحالتها المنغمسة في الشهوات، غافلة عن النتائج التي تنتظرها في الدنيا وفي الآخرة، فأولئك الذين لا يرجون لقاء الله، وقد قال عنهم الله سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا**﴾. (سورة يونس ٧).

الرضا بالقضاء

القضاء هو تحقق القدر الذي كتبه الله لعباده، سواء كان تقديراً مكتوباً لم يتغير، أو أنه تغيّر بفعل العبد، فالقضاء هو وصول القدر إلى مرحلة الإبرام والإمضاء الذي لا رجعة فيه، وأن تكون النفس راضية بقضاء الله تعالى، يعني أنها تسكن من روعها تجاه ما أصابها أولاً، ثم تستشعر برد القبول بما جرى، فلا تجزع، ولا تعترض على قضاء الله تعالى، لأن كل ما يصيب

الإنسان من حال، فهو خير له، وهذه الحقيقة صعبة التقبّل، ولذلك كان مقام الرضا هو مقام من مقامات الأولياء والصالحين، وقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام عن درجة الرضا:

«أَعْلَى دَرَجَاتِ الْيَقِينِ أَدْنَى دَرَجَاتِ الرِّضَا»[1].

يمكن للإنسان أن يتماشى مع المرض أو الفقر أو السجن أو فقد عزيز، ولكن في داخل نفسه يتجرّع المصيبة ويبدي ألمه، فهو مؤمن بالقضاء قابل به، وهذه درجة من درجات الإيمان، وعندما تترقّى نفسه لدرجة استشعار برودة ما يصيبها، ستعي أن في ذلك الخير، فإن لم يكن خير الدنيا، فالخير العميم في الآخرة، مقابل الصبر الجميل.

ورد عن الإمام عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام، عن آبائه، عن الإمام عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ«**سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: قَالَ الله جَلَّ جَلَالُهُ: مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَدَرِي، فَلْيَلْتَمِسْ إِلَهاً غَيْرِي، وَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: فِي كُلِّ قَضَاءِ الله خِيرَةٌ لِلْمُؤْمِنِ**»[2].

١ – وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٢، ونقل في تحف العقول عنه عليه السلام: :الرضا بمكروه القضاء، أرفع درجات اليقين».

٢ – التوحيد، للشيخ الصدوق، ص٣٧١

(٢)

مُولَعَةً بِذِكْرِكَ وَدُعَائِكَ

مولعة: ولع تدل على اللّهج بالشيء، أَوْلَعَه به: أَغْراه.

من علامات حب العبد لله تعالى هي إدامة ذكره والاشتغال بالتوجّه إليه بالدعاء، لذلك يطلب الزائر أن تكون نفسه مولعة، أي شديدة التعلّق وعميقة بالحب وشديدة الأنس بذكر الله تعالى وبدعائه.

ذكر الله تعالى طريق إلى تكوين النفس المطمئنة المستقرّة، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**[١].

كما أن إدامة ذكر الله تعالى، طريق لاكتساب محبة الله تعالى، فعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الله أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ ذَكَرَ اللهَّ كَثِيراً، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ، بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**»[٢].

---

١ - سورة الرعد ٢٨

٢ - وسائل الشيعة، ج٧، ص١٥٤

والدعاء مخ العبادة وطريق النجاة من الهلكات، ومن أراد أن ينال من رحمة الله تعالى وفيوضاتها، فعليه بالدعاء، فقد قال تعالى: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**﴾[1].

فالدعاء عند أمير المؤمنين عليه السلام، هو (مفاتيح النجاح، ومقاليد الفلاح)، وهو (مفتاح الرحمة، ومصباح الظلمة)، وبالنسبة للشخصية المؤمنة: (نعم السلاح الدعاء)، لذا فقد كانت سيرة أمير المؤمنين عليه السلام مليئة بمشاهد الولع والتوجّه الشديد إلى الله تعالى، ولم يكن لسانه عليه السلام يفتر من الذكر في كل آن، ونقل عنه التاريخ مشاهد عروج روحه في حال الدعاء، ومن تلك السيرة المضيئة بالذكر والدعاء قد خلّف لنا الإمام علي عليه السلام العديد من الأدعية والأذكار والمناجاة، فمنها ما يتعلق بحمد الله تعالى وتوحيده، ومنها ما هو مرتبط بأوقات اليوم أو الأشهر، ومنها ما يتصل بالعبادات كالدعاء عند الطهارة وعقيب الصلوات، وقد اشتهر من أدعيته دعاؤه المعروف بدعاء كميل ذلك الدعاء العظيم، الذي يعتبر كنزاً من كنوز التقرب إلى الله، وطلب القرب والانجذاب إلى الله تعالى في كل الأحوال. ومن أدعيته الشهيرة، دعاء الصباح الذي يبدأ من خلاله المؤمن بالتقلّب بالدعاء إلى الله ورقّة الذكر وعذوبته، مع إشراقة كل صباح.

---

١ - سورة الفرقان ٧٧

بين الدعاء والقضاء

لقد سأل الزائر في العبارة السابقة أن تكون نفسه مطمئنة بالقدر راضية بالقضاء، إلا أنه لا يتوقف عند ذلك، بل يتقدّم خطوة في هذه الفقرة، ويأخذ بالأسباب، ويتوجه لله تعالى بالدعاء الذي يغير ما قدر له من بلاء.

عن أبي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام: «**عَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ لله وَالطَّلَبَ إِلَى الله، يَرُدُّ الْبَلَاءَ وَقَدْ قُدِّرَ وَقُضِيَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا إِمْضَاؤُهُ، فَإِذَا دُعِيَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَسُئِلَ صَرَفَ الْبَلَاءَ صَرْفَةً**»[1].

والولع بالدعاء يقتضي أن يشتغل المرء بالدعاء والذكر على أي حال، فلا ينتظر حتى يحل به البلاء أو تلجئه حاجة إليه، بل يديمهما، لأن رد ما قُدّر له لا ينحصر فيما يكون في دائرة علمه، فلا يدري الإنسان ما الذي ينتظره وما هو مكتوب له، لذا قال الإمام علي عليه السلام:

«**مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ بِأَحْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ [مِنَ الْمُعَافَى] الَّذِي لَا يَأْمَنُ الْبَلَاء**»[2].

النفس المولعة بالذكر

حالة الولع في النفس، هي حالة من الانجذاب للشيء بقوة، لذا سمي إغراء، فلا يكفي أن يطلب الزائر من الله تعالى أن يوفق للذكر والدعاء،

---

١ - الكافي، ج٢، ص٤٧٠

٢ - نهج البلاغة، ص٥٢٣

بل يروم درجة عالية من الارتباط بالذكر والدعاء، فهو يطلب أن تكون نفسه شديدة الانجذاب، ليس لشؤون الدنيا وملذّاتها، بل للذّكر والدعاء، وبذلك يرتسم أمامنا مشهد مليء بالأنس والألفة، والاستمرار في العلاقة مع الذكر والدعاء.

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (صلوات الله عليه): «**لَا يَقْبَلُ الله عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَ قَلْبٍ لَاه**»[1].

١ - الكافي، ج٢، ص٤٧٣

(٣)

مُحِبَّةً لِصَفْوَةِ أَوْلِيَائِكَ، مَحْبُوبَةً فِي أَرْضِكَ وَسَمَائِكَ

الصفوة: صَفْوَةُ كُلِّ شَيْءٍ: خالِصُه، والصَّفْوُ: نَقِيْضُ الكَدَر.

تتقلب النفس في عالم المحبة، والحب أكرومة من مكارم العروج وصفة من صفاة الكمال، فمن خلال التحكّم في اتجاهه الصحيح تتجه النفس نحو الخير والصلاح وتلتصق من خلاله بكل الفضائل، وعندما تنحرف بوصلة المحبّة، فإنها تكون وبالاً على صاحبها، لذلك قد توالت الروايات في استجماع الدين في بوتقة الحب.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي حَدِيثٍ لَهُ، قَالَ: .. «**هَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ اللهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، أَوَ لَا تَرَى قَوْلَ اللهِ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، وَقَالَ: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، فَقَالَ: الدِّينُ هُوَ الْحُبُّ، وَالْحُبُّ هُوَ الدِّين﴾**»[1].

---

١ - المحاسن، ج١، ص٢٦٣

ومن هنا لابدّ أن تكون النفس (محبة لصفوة أولياء الله) ومن يحب أحداً فهو يحب صفاته، ويحب أعماله ومناهجه، وهو طريق الاندماج والتفاني في المحبوب ومن أجله، لذا فالحب لابدّ أن يتعلّق بصفوة أولياء الله، وفي قمتهم أهل بيت نبيه الأطهار عليهم السلام، لأنهم خاصة أوليائه، والمؤتمنون على دينه، وهم أعلامه، وعلى رأسهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الذي نخاطبه في زيارة أخرى له:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ.. يَاخَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدَ الصِّدِّيقِينَ وَالصَّفْوَةَ مِنْ سُلَالَةِ النَّبِيِّين»[1].

لذلك أصبحت محبة الصفوة وهم الأولياء واجبة، لما يمثله من سمة للنهج الرباني.

عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنِ الرِّضَا عليه السلام، فِي كِتَابِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ، قَالَ: **«وَحُبُّ أَوْلِيَاءِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَاجِبٌ، وَكَذَلِكَ بُغْضُ أَعْدَائِهِمْ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَئِمَّتِهِمْ»**[2].

محبوبة في الأرض والسماء

وكما أن المرء يتطلّع إلى تكوين المحبة في قلبه لأولياء الله، فكذلك يتطلع إلى أن يكون محلاً لحبّ قلوب الآخرين، فتنجذب له النفوس ويأنس

١ - المزار، للمشهدي، ص٤١

٢ - وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٦٩

بمصادقته الآخرون، والحب المطلوب ليس أي حب، وإنما هو ذلك الذي يتوافق عليه حب أهل الأرض وأهل السماء معاً، فهذا الاقتران بين محبوبية الأرض ومحبوبية السماء، هو اقتران تجانس بين ما يعيشه الإنسان على الأرض في الاجتماع، وبين ما يريده الله منه، لأن محبة السماء هي محبة الله تعالى، وهي محبة أهل السماء من الملائكة والنبيين والصديقين.

ومن هنا فالمصلحة الأرضية لا ينبغي أن تنفك عن رضا السماء، فمن خلال محبة الأصفياء يتأهل الإنسان المؤمن إلى أن يكون من الأصفياء، لأنه حكّم الدين في بوصلة محبته، وقد ورد عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ:

«قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: وُدُّ الْمُؤْمِنِ لِلْمُؤْمِنِ فِي الله، مِنْ أَعْظَمِ شُعَبِ الْإِيمَانِ، أَلَا وَمَنْ أَحَبَّ فِي الله، وَأَبْغَضَ فِي الله، وَأَعْطَى فِي الله، وَمَنَعَ فِي الله، فَهُوَ مِنْ أَصْفِيَاءِ الله»[1].

فمحبة أصفياء الله في الدنيا هي طريق إلى صفاء القلب، وطريق إلى الانتماء إلى الأصفياء، وبذلك يكون محبوباً في السماء، لما سار عليه من نهج مرضي من الله تعالى، وأن تكون النفس محبوبة في الأرض، أي أن يكون واقعها متلائماً في العيش الاجتماعي مع الناس، لتأنس بهم وتسعد، فمنطق المؤمنين أن تتلاءم حياتهم الدنيا في الأرض، مع حياتهم الأخرى، ودليلها محبة أهل السماء، أي رضا الرب عزّ وجل، وهذا المنهاج في كتاب الله تعالى:

---

١ - المحاسن، ج١، ص٢٦٣

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

أما إذا اختل ميزان المحبة وبالتالي يختل ميزان الانتماء، فإن محبة أهل الأرض لا تغني عن محبة أهل السماء، فلا ينفعه إطراء الناس، ولا أنس العشيرة، ولا كثرة الأخلاء، كما تحقق اختلال الميزان تاريخياً في أنموذج الحاكم عمر بن عبد العزيز، فقد قَالَ أَبُو بَصِيرٍ: كُنْتُ مَعَ الْبَاقِرِ عليه السلام فِي الْمَسْجِدِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ[2] مُتَّكِئاً عَلَى مَوْلًى لَهُ.

فَقَالَ عليه السلام: **لَيَلِيَنَ[3] هَذَا الْغُلَامُ، فَيُظْهِرُ الْعَدْلَ، وَيَعِيشُ أَرْبَعَ سِنِينَ، ثُمَّ يَمُوتُ، فَيَبْكِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَرْضِ وَيَلْعَنُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ.**

فَقُلْنَا: يَا ابْنَ رَسُولِ الله أَلَيْسَ ذَكَرْتَ عَدْلَهُ وَإِنْصَافَهُ؟

قَالَ: **يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِنَا، وَلَا حَقَّ لَهُ فِيهِ.**

ثُمَّ مَلَكَ وَ أَظْهَرَ الْعَدْلَ جُهْدَهُ»[4].

ماذا تعني محبة الله للعبد؟

النفس المحبوبة لله، هي نفس ترقّت إلى مدارج السمو والرفعة في

---

١ – سورة البقرة ٢٠١

٢ – قيل الممصرة من الثياب، التي فيها صفرة خفيفة.

٣ – أي يكون والياً.

٤ – الخرائج والجرائح، ج١، ص٢٧٦

عبوديتها لله تعالى، واتصفت بالصفات التي يحبها الله في العبد، فهو عزّ شأنه يحب التوّابين ويحب المتطهّرين، ويحب الصابرين، ويحب المحسنين، فالتحلّي بالصفات المحبوبة لله عزّ وجل، يعني الانتماء إلى المحبوبين لله، والتأهل لمقام المحبوبية لله، لا يعني ذاك الحب الذي يتكوّن بين مخلوقين من الانجذاب والألفة، فإن الله ليس محلاً للحوادث، وليس كمثله شيء من خلقه يقاس به، فالحب من الله للعبد، يعني حصوله على التأييد والتسديد الإلهي، فتكون جهوده في الدنيا وفقاً لما يريد الله تعالى، فينجز الله به ما يريد، وبمعنى آخر تكون سيرته سيرة ربانية معبّرة عن تعاليم الله في خلقه، وتلك هي صفة الأولياء الذين تمنّى في بداية العبارة أن يكون محبّاً لهم، فهو يطلب من الله أن تكون نفسه محبة لصفوة الأولياء الذين هم محل محبة الله فشملهم التأييد الإلهي، ثم يطلب أن يكون منهم بحسب الصفة البارزة فيهم، وهي المحبوبية في السماء.

عَنْ حَمَّادِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ:

«مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ أَرْصَدَ لِمُحَارَبَتِي، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ وَ إِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ»[1].

١ - الكافي، ج٢، ص٣٥٢

(٤)

صَابِرَةً عَلَى نُزُولِ بَلَائِكَ

الحياة مليئة بمحطات الامتحان التي يبتلي اللهُ بها عباده، كي يمحّصهم ويصفّيهم، ليظهر معدنهم الأصيل، وبمقدار ما يكون عند الإنسان من صبر في مواجهة البلاء تتسامى نفسه وتعانق العظمة، وهنا يجأر الزائر بدعائه لخالقه، بأن يسلّحه بالصبر عند نزول البلاء.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا نَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِير**»[١]

والصبر على البلاء من أسس بناء الشخصية الرسالية الإيمانية، فيكفي في الثناء عليه أن الله معه، كما في قول الله عزّ وجل: ﴿**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[٢]، ومن كان الله معه، لا يبالي إن كانت الدنيا كلها عليه، كما أن من اللطائف المهمة في معرفة سر الصبر على البلاء، ودوره في بناء الشخصية، هو أن يعي أن صبره ليس استسلاماً للمشكلة أو المصيبة التي حلّت به،

١ - مستدرك الوسائل، ج٢، ص٤٢٥

٢ - سورة الأَنْفال ٤٦

إنما الصبر يعني أن يتجلّد الإنسان في أحاسيس جوانحه، ويتماسك في توتر جوارحه، ويتحكم في ردود أفعاله، لكي يتفوّق على المشكلة، ويكون قادراً على النظر إليها بنظر الهادئ المطمئن، وذلك مقدمة لبداية علاج المشكلات، ويستمر بالصبر كي يستمر بالسعي لتخطّي ما أصابه، فبعضه يزول بمرور الزمن فيحتاج الى الصبر مدة بقاء البلاء، وبعضه يزول بالسعي، فيحتاج إلى الصبر لمواصلة السعي، وهذه البصائر الرائعة، نجدها في قول الإمام علي عليه السلام: «**بِالصَّبْرِ يُنَاضَلُ**[1] **الْحَدَثَانُ الْجَزَعُ مِنْ أَنْوَاعِ الْحِرْمَانِ**»[2].

وما ورد عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ: «**الصَّبْرُ سِتْرٌ مِنَ الْكُرُوبِ، وَعَوْنٌ عَلَى الْخُطُوبِ**»[3].

فالصبر من أهم فضائل العظماء وأساس قوي في ثبات العظمة واستمرارها، لذا فهي صفة لا غنى عنها للرسالي الذي يتطلّع إلى شخصية الإمام علي عليه السلام أو لأي إمام معصوم من ولده عليهم السلام، لينهل منها عصارة الفضائل، ويستنزل غيثها ليغسل نفسه بعذب ماء نهره المبارك.

وقد أنبأنا التاريخ عن صبر الإمام علي عليه السلام الذي فاق صبر الصابرين حتى أصبح سمته البارزة، وعلوّ الصبر يقاس بمدى البلاء الذي يقع، وقياس نسبته لعظمة الشخصية التي تتعرّض للبلاء، فالظلم الذي وقع على الإمام

١ – ناضله مناضلة: باراه في رمي السهام وناضل عنه: حامى وجادل ودافع عنه.

٢ – بحار الأنوار، ج٧٥، ص١١

٣ – مستدرك الوسائل، ج٢، ص٣٢١

علي عليه السلام ليس كأي ظلم، والتكذيب ليس كأي تكذيب، فهو ذو المقام الشامخ ذو المراتب التي رتبه الله فيها في أعلى عليين، أنزله الدهر حتى قيل علي وفلان من الأراذل والشذّاذ، ورغم ذلك تحمّل قلبه كل الإقصاء الذي وقع عليه، وتلقّى كل الآلام التي الّمت به، في سبيل سلامة أمور المسلمين.

يقول الأديب والشاعر المسيحي بولس سلامة في صبر الإمام علي عليه السلام: (فلم يُر أصبر منه على المكاره، إذ كانت حياته موصولة بالآلآم منذ فتح عينه على النور في الكعبة حتى أغمضها على الحق في مسجد الكوفة)[1].

ومن أبلغ ما قيل في ما تعرض إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من غصص تجرعها بالصبر عليها، ما قاله هو نفسه عن حاله:

«اللهمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَكْفَئُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً. فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ»[2].

١ – الإمام علي في الفكر المسيحي، راجي أنور هيفا، ص٧١٤ عن بولس سلامة: عيد الغدير، ص١١

٢ – نهج البلاغة، ٣٣٦

(٥)

شَاكِرَةً لِفَوَاضِلِ نَعْمَائِكَ، ذَاكِرَةً لِسَوَابِغِ آلَائِكَ

الفواضل: الفَضْل: الزِّيادة، والخير. والإفضال: الإحسان، الفَواضِل: الأَيادي الجميلة.

نعمائك: النَّعِيمُ والنُّعْمَى والنَّعْمَاء والنِّعْمَة، كله: الخَفْض والدَّعةُ والمالُ، وهو ضد البَأْساء والبُؤْسى.

سوابغ: شيء سابغٌ أَي كامِلٌ وافٍ.

آلائك: اسم للنعمة العظيمة، وقيل: النِّعَمُ الظاهرة، والنَّعْمَاء هي النعم الباطنة.

الصابرون هم الشاكرون حقاً، هذه بصيرة في ارتباط الفضائل ببعضها البعض، والتي تحتاج إلى تنبّه كي يسهل على النفوس أن تسير في خط الصبر من خلال الشكر، أما كيف ذلك، فهو يعود إلى حقيقة هامة في الصبر، وهي أن الصابر كي يقوى على موقفه ويثبت ويستقيم دون تأثر وعجز وتراجع،

يحتاج إلى أن يتذكّر الجوانب الإيجابية في الحياة لتحصل نفسه على عامل التوازن بين (البلاء والشدّة) وبين (النعم والآلاء) التي تتوفر عليها حياته، ويمكنه أن يحصل على ذلك من خلال استحضاره لقائمة آلآء الله السابغة عليه في كل جانب من جوانب حياته، وهذا الاستحضار يقود المؤمن إلى الشكر، ويذكر فضل الله تعالى عليه في كل نعمائه، فهنا يكون الشكر هو عنوان الصابرين، ومنفذهم للخلاص من البلاء وضيقه، أو من الإحساس به، كمقدّمة للمضي في علاجه وتخطيه.

فالشكر يعود على صاحبه بالنفع في الدنيا قبل الآخرة، وهذه البصيرة من رشحات حكم لقمان التي آتاها الله إياه، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لله وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1].

النعم بين الشكر والذكر

الشكر لابد أن يشمل كافة النعم التي أغدقها الله تعالى على الإنسان، سواء الظاهرة المعروفة المحسوسة لديه، أم الباطنة الخفية التي لا يستشعرها بجوارحه، لأن الحقيقة هي أن الله تعالى قال: **﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾**[2]، فالشكر لابد أن يستوعبها جميعاً، لذا قال في الدعاء، واجعل

١ – سورة لقمان ١٢

٢ – سورة لقمان ٢٠

نفسي: (**شَاكِرَةً لِفَوَاضِلِ نَعْمَائِكَ**)، أي أياديك الجميلة علي بكافة النعم ، ومنها النعماء، وهي النعم الباطنة، فجعل الشكر مقابل النعماء، لأن من يشكر الخفية فهو للظاهر من النعم، أولى بها شكراً.

وجعل الذكر مقابل الآلآء السابغة، لأنها ظاهرة محسوسة، فلابد أن تؤدّي رسالة، ورسالتها أن تقوم بتذكير النفس بأنها مغمورة بنعم الله تعالى، النعم التي لا تحصى ولا تعد، وعندما تكون النفس ذاكرة باستمرار للنعم الإلهية، فإنها ستسير في خط الاتزان، لأن الغفلة عن النعم، تؤدّي بالإنسان إلى الهاوية، فمن لا يجد أن الله أعطاه وأغدق عليه، سيشعر نفسه بالحرمان، وبالتالي سيكون أقرب لكفران النعم، وهو منزلق سلبي يخلق الضباب على البصيرة في الحياة، فتدمّره الحالة السلبية وشعوره بالحرمان.

ولكن النفس إذا كانت شاكرة للنعم، فإن الله ينعم عليها بالمزيد فيها، لأن الشكر يزيد النعم وينميها، وإذا كانت النفس متذكّرة لما تفضّل الله به عليها، ستعيش مع الأمل والانشراح والاتزان.

نجد هذا المعنى الدقيق واللطيف في دعاء الإمام زين العابدين في الصحيفة السجادية:

«الْحَمْدُ لله الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى مَا أَبْلَاهُمْ مِنْ مِنَنِهِ الْمُتَتَابِعَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا فِي مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ،

**وَتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ. وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ، فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾»[1].

١ - الصحيفة السجادية، ص٣٠

(٦)

مُشْتَاقَةً إِلَى فَرْحَةِ لِقَائِكَ، مُتَزَوِّدَةً التَّقْوَى لِيَوْمِ جَزَائِكَ

لقاء الله تعالى هو موعد مع لقاء رحمته الرحيمية التي اختص بها المؤمنين، حيث تتنزّل عليهم في الآخرة، فتشتاق النفوس المؤمنة إلى رحمة خالقها لتنعم بفرحة اللقاء الذي طالما ألحّت بطلبه في خلواتها ومناجاتها بأن يدخلها الله في واسع من رحمته وأن يشملها الله بوافر الرضوان.

إن الاشتياق هو نزاع النفس إلى شيء، وهنا يدعو الزائر أن تكون نفسه في حالة من النزوع والانجذاب إلى فرحة اللقاء بالله تعالى، ولقاء الله هو كناية عن المواجهة في العالم الآخر عند خروج الروح، فيواجه المرء بعمله في الدنيا، لذلك فإن ماهية ذلك اللقاء تتحدّد بناء على ما قدمت يداه في الدنيا، وفي المقابل فإن الله تعالى يحب من يحبه، فقد ورد عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام عندما سأله أحدهم:

«قُلْتُ أَصْلَحَكَ الله مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ لِقَاءَ الله أَبْغَضَ الله لِقَاءَهُ؟

قَالَ: **نَعَمْ**.

قُلْتُ: فَوَ الله إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ.

فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ حَيْثُ تَذْهَبُ، إِنَّمَا ذَلِكَ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ، إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَقَدَّمَ وَالله تَعَالَى يُحِبُّ لِقَاءَهُ وَهُوَ يُحِبُّ لِقَاءَ الله حِينَئِذٍ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنْ لِقَاءِ الله، وَالله يُبْغِضُ لِقَاءَهُ»[1].

إن كانت حمولة الإنسان من الدنيا لا تؤهله للفوز في الآخرة، فسيكون مضطرباً خائفاً، مما انتهك من آثام، وبما تلوّثت يداه من الخطايا والذنوب، فسيكره لقاء الله لما سيرى من عواقب سيئة، ولذا فإن الذي يتزوّد بالتقوى لذلك اليوم، هوالمفلح، كما قال تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2].

نعم تتحقق الفرحة تلك، عندما يستجمع الإنسان في روحه حزم الإيمان، ويتحلّى بحلية التقوى، ويتجلبب بمخافة الله، حيث تسير نفسه في طريق الله تعالى، فتنفر من الخبائث التي حرّمها الله، وتنجذب إلى الطيبات التي أحلّها الله، وتتمسّك بما كتبه الله عليها، متزودة بزاد الآخرة من مزرعة رفل في ربوعها في الدنيا، وتزوّد منها لآخرته الباقية. في هذه الحال الإيمانية

---

١ - الكافي، ج٣، ص١٣٤

٢ - سورة الكهف ١١٠

تشتعل جذوة الشوق في النفس فتكون: (**مُشْتَاقَةً إِلَى فَرْحَةِ لِقَائِكَ، مُتَزَوِّدَةً التَّقْوَى لِيَوْمِ جَزَائِكَ**).

وقال تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾[1].

ولأنه تزوّد بالتقوى، فهو متوقع للجزاء الأوفى من الله تعالى، لذلك ذكر يوم القيامة، الذي له أسماء عديدة، بيوم الجزاء.

١ - سورة البقرة ١٩٧

(٧)

مُسْتَنَّةً بِسُنَنِ أَوْلِيَائِكَ مُفَارِقَةً لِأَخْلَاقِ أَعْدَائِكَ

معادلة الحب لها في الدين أثر عظيم في النفس، وأثرها العملي الذي يبدو على الجوارح والجوانح هو اتباعها لسنن الأولياء والصديقين المرتبطين بالله تعالى، ومخاصمة كل صفة ذميمة تلبّس بها أعداء الله.

فاتباع أولياء الله الذين افترض الله طاعتهم هو البرهان البيّن على صدق ادعاء الإنسان بالإيمان، فإنه كما لا يقبل عمل بلا إيمان، فلا إيمان بلا عمل.

وهنا ينبغي للزائر أن يعقد العزم على القطيعة مع سلوك أعداء الله، ليكون بينه وبينهم فاصل واضح، فلا يتشبه بهم بقول أو فعل أو عادات ما أنزل الله بها من سلطان.

سنن الأولياء وأخلاق الأعداء

إن سنن الأولياء هي عينها سنن الدين، إلا أنه عندما نسب السنن إليهم، فإننا نلمح معنى إضافياً في هذه العبارة، وهو أننا ينبغي أن نعرف أن

السنّة هي ما ينشئه الإنسان ليجري متتابعاً، وهي عبارة عن تأسيس لحالة أو لفكرة، أو لعادة من العادات، ولذلك فإن سنن أولياء الله تعالى، ستكون متكئة على القيم الإلهية، فسننهم هي جهودهم في التأسيس على قيم الدين، مع إضافة بعد الاستمرارية، وإضافة الاتساع في العمل من الفرد إلى دائرة أوسع منه، فلا تنحصر بوجوده في المكان أو الزمان.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، سَنَ سُنَّةَ هُدًى، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَأَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، سَنَّ سُنَّةَ ضَلَالٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْء**»[1].

وهي كما الصدقات الجارية، التي يمكن أن تكون أفكاراً جديدة ولكنها تقوم على قيمة دينية ثابتة، فمن يؤسس روضة للطفولة، أو مدرسة للشباب، أو جامعة، أو حوزة علمية، أو داراً لتعليم القرآن الكريم، أو حتى معاهد تدريب وتثقيف، بما يتلاءم والحاجة المعاصرة للمجتمع، فإن كل ذلك قائم على قيمة العلم وضرورة تزكيته بالتعليم، وهكذا سائر السنن.

ومن السنن ما هو شخصي، أي هو عبارة عن الأخلاق، ولكن مع الاستمرار عليها والاعتياد على أدائها، فتكون له سنة من سننه التي يديم عليها، كمن يحافظ على تسبيح الزهراء عليها السلام في أوقات متعددة، وكمن يدّخر من ماله في شهر ليعين فقيراً أو يكفل يتيماً، أو من يخصّص من وقته

١ – وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٧٤

لتعليم الناس وتثقيفهم، كفعل مستمر يداوم عليه، لذلك فإن الديمومة في قوله تعالى ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾[1]، تعني ذات المعنى، كما قال القمي في تفسيره (يَقُولُ إِذَا فَرَضَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئاً مِنَ النَّوَافِلِ دَامَ عَلَيْه)[2]، وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عندما سئل عن الآية، قال:«**هِيَ النَّافِلَةُ**»[3].

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ سَنَ عَلَى نَفْسِهِ سُنَّةً حَسَنَةً، أَوْ شَيْئاً مِنَ الْخَيْرِ، ثُمَّ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ حَائِلٌ، إِلَّا كَتَبَ الله لَهُ مَا أَجْرَى عَلَى نَفْسِهِ أَيَّامَ الدُّنْيَا**»[4].

فالمؤمن يتطلّع ليس إلى أخلاق الأولياء فحسب، بل إلى ما هو أرفع من ذلك، يتطلع إلى ما له ديمومة وسعة في التأثير، وهو بعد السنن.

أما أخلاق الأعداء فهي كل السلوكيات النابعة من الأعداء، فلم يقل سنن الأعداء، لأن المؤمن ينبغي أن يكون بينه وبين الأعداء بعد المشرقين، فلا يقترب منهم حتى بتشبّه في لفظ أو سلوك، كي لا يقترب من دائرتهم أيما اقتراب، ولذا نجد أن الشرع المقدّس قد نهى المؤمن أن يقترب من أخلاق الأعداء، ومنهم المنافقون، كالأكل على الشبع، وكالأكثار من الأخطاء وكثرة الاعتذار، أو كالتسرّع في إبداء رد الفعل كمن يكون قلبه خلف لسانه، وما شابه ذلك.

---

١ – سورة المعارج ٢٣

٢ – تفسير القمي، ج٢، ص٣٨٦

٣ – الكافي، ج٣، ص٢٧٠

٤ – وسائل الشيعة، ج١٦، ص ١٧٥

(٨)

مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيَا بِحَمْدِكَ وَثَنَائِكَ.

الشغل الشاغل عند النفوس الكبيرة يتعدى مظاهر الدنيا واهتماماتها، لأنها منشغلة عن ذلك بالله تعالى، تحمده كما يستحق الحمد، وتثني عليه كما هو أهل لذلك، فتعلّق القلب أحد أهم الأمور التي ينبغي الحزم في إدارتها، فمن تعلّق قلبه بشؤون الدنيا، تلهّى عن أمر ربه وعن نعمائه، وقد قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: « **أَلَا وَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ**»، ومن تعلّق بشؤون الآخرة، انشغل عن الدنيا بما هو أهم منها.

الانشغال ضد الفراغ، فالنفس المشغولة بالحمد والثناء لله تعالى هي تلك التي تعطيه الوقت الكافي من زمانها، والانشغال عن الدنيا، ليس انشغال تفريط في ما يحتاجه الإنسان من شؤون الدنيا، لأن الإنسان لا شك يحتاج إلى أمور الدنيا فيما يقيم حياته، ولذا نجد الدين يدفعه باتجاه تحصيل الرزق، وطلب الرزق من الله، وبالسعي للتزويج، وطلب الولد، والسعي لإعالتهم،

والتوسعة عليهم، وكل ذلك يتطلب منه أن يصرف وقتاً في إدارة هذا الجانب من حياته، فليس المقصود من الدنيا هنا هو شؤون الدنيا، بل المقصود هو الدنيا كقيمة يتعلّق بها، وعلى أساسها يحدّد سلوكه، وهو ما تسميه الروايات بـ (حب الدنيا)، الذي هو رأس كل خطيئة، وبداية الانهيار.

فيكون هنا الانشغال بالحمد والثناء على الله تعالى، هو رجوع إلى الله، وتوجه إليه، ومناجاته، بما يستحق، وهو بذلك يشغل نفسه عن الدنيا التي تنسيه الذكر، فلا يكون من زمرة الغافلين.

بين الحمد والثناء

الحَمْدُ في اللغة: نَقِيضُ الذَّم، وفي الفرق بينه وبين الشكر، قيل: أن الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم، والحمد الذكر بالجميل على جهة التعظيم المذكور به أيضاً ويصح على النعمة وغير النعمة، والشكر لا يصح الا على النعمة.

وقيل الحمد لله، هو الشكر للنعم التي شملت الكل.

أما الثناء فقد قال أهل اللغة: هو مدح مكرر من قولك ثنيت الخيط إذا جعلته طاقين وثنيته بالتشديد اذا أضفت اليه خيطاً آخر.

فمقتضى أن يكون الإنسان راضياً بقدر الله وقضائه، هو الحمد لما يعلمه من أن كل فعل الله هو خير للإنسان، فهو تعالى الذي لا يحمد على

مكروه سواه، ومقتضى أن يكون الإنسان شاكراً للنعم، أن يكرر الإطراء للفعل الإلهي، وهو الثناء على الله عزّ وجل، فالانشغال بالحمد والثناء هو في حقيقته تطبيق لما جاء في العبارات السابقة من الزيارة المختصة بالرضا بالقضاء والقدر، وشكر النعم.

وفي كلمة رائعة للإمام علي عليه السلام في هذه المعاني المتكاملة للحمد، يقول في إحدى خطبه:

«الْحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ، وَعَظَمَتِهِ»[1].

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: **«فَإِذَا قَالَ ـ العبد ـ : ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ﴾، قَالَ الله جَلَّ جَلَالُهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَعَلِمَ أَنَّ النِّعَمَ الَّتِي لَهُ مِنْ عِنْدِي، وَأَنَّ الْبَلَايَا الَّتِي إِنْ دُفِعَتْ عَنْهُ فَبِتَطَوُّلِي، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي أُضِيفُ لَهُ إِلَى نِعَمِ الدُّنْيَا نِعَمَ الْآخِرَةِ، وَأَرْفَعُ عَنْهُ بَلَايَا الْآخِرَةِ كَمَا دَفَعْتُ عَنْهُ بَلَايَا الدُّنْيَا»**[2].

١ – نهج البلاغة، ص٢٢١

٢ – الأمالي، للشيخ الصدوق، ١٧٤

استسقاء العارفين

شرح الزيارة (قسم المناجاة)

استسقاء العارفين

ثُمَّ وَضَعَ خَدَّهُ عَلَى الْقَبْرِ وَقَالَ:

اللهمَّ إِنَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتِينَ إِلَيْكَ وَالِهَةٌ، وَسُبُلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْكَ شَارِعَةٌ، وَأَعْلَامَ الْقَاصِدِينَ إِلَيْكَ وَاضِحَةٌ، وَأَفْئِدَةَ الْعَارِفِينَ مِنْكَ فَازِعَةٌ، وَأَصْوَاتَ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ صَاعِدَةٌ، وَأَبْوَابَ الْإِجَابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ، وَدَعْوَةَ مَنْ نَاجَاكَ مُسْتَجَابَةٌ، وَتَوْبَةَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْكَ مَقْبُولَةٌ، وَعَبْرَةَ مَنْ بَكَى مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةٌ، وَالْإِعَانَةَ لِمَنِ اسْتَعَانَ بِكَ مَوْجُودَةٌ، وَالْإِغَاثَةَ لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِكَ مَبْذُولَةٌ، وَعِدَاتِكَ لِعِبَادِكَ مُنْجَزَةٌ، وَزَلَلَ مَنِ اسْتَقَالَكَ مُقَالَةٌ، وَأَعْمَالَ الْعَامِلِينَ لَدَيْكَ مَحْفُوظَةٌ، وَأَرْزَاقَكَ إِلَى الْخَلَائِقِ مِنْ لَدُنْكَ نَازِلَةٌ، وَعَوَائِدَ الْمَزِيدِ لَهُمْ مُتَوَاتِرَةٌ، وَذُنُوبَ الْمُسْتَغْفِرِينَ مَغْفُورَةٌ، وَحَوَائِجَ خَلْقِكَ عِنْدَكَ مَقْضِيَّةٌ، وَجَوَائِزَ السَّائِلِينَ عِنْدَكَ مَوْفُورَةٌ وَعَوَائِدَ الْمَزِيدِ إِلَيْهِمْ وَاصِلَةٌ، وَمَوَائِدَ الْمُسْتَطْعِمِينَ مُعَدَّةٌ وَمَنَاهِلَ الظِّمَاءِ لَدَيْكَ مُتْرَعَةٌ[1].

العارفون بالله وبقدرته وبعطائه الذي لا ينضب، إنما يتقدّمون بتوسلهم

---

١ – كامل الزيارات، النص، ص: ٤٠

لله تعالى بعد أن قدّموا أمير المؤمنين عليه السلام وولايته والإيمان بفضله بين أيدي دعائهم، وبعد أن تعلّقت نفوسهم بشمائل الأولياء ومواصفاتهم، ورفعوا أكفّهم لخالقهم سآلين منه أن تكون نفوسهم في الطريق ذاته، أصبحت نفوسهم الآن في سباق الاستسقاء، يسترفدون رحمة الله بقلوب قرّرت الاستعداد لذلك، فهاهي تتوسد بخدها على مصدر إشعاع النور في مشهد المسكنة والحاجة التي تلبّى من خلال منفذ عظمة صاحب القبر الشريف.

جاء في نص الزيارة أن الإمام زين العابدين عليه السلام حال قراءته لهذا المقطع من الزيارة قد (**وَضَعَ خَدَّهُ عَلَى الْقَبْرِ وَقَالَ**:...)، فبدأ بتلاوة القابليات الربانية التي مهدها الخالق للمخلوقين.

وهذه الحقائق الربانية التي ينفذ من خلالها للوصول إلى الكمال البشري، هي المرحلة الثالثة من مراحل زيارة أمين الله، وهي من خصائصها العجيبة، فبعد التوجّه إلى الله بالدعاء، يتحوّل الزائر إلى صيغة أخرى من صيغ مخاطبة الله تعالى، وهي مناجاة متنوعة[1]، عبارة عن سرد الثناء على الله تعالى، عبر الحقائق المعبرة عن كيفيات وقابليات نزول الرحمة الإلهية على العباد، فتوسّد الخدّ الذي هو موضع الكرامة والوجاهة للإنسان، على القبر الشريف يعبّر عن حالة التذلّل لله تعالى، لأنه في معرض الثناء والتعظيم، فلا بد أن تظهر على الزائر الداعي مظاهر الذلّ والمسكنة، كدلالة صدق منه إلى بارئه، وكلّما تحقق تعظيم الرب في نفس الداعي، كلما تصاغر الإنسان في نفسه، عندئذٍ

١ – المناجاة هي اختصاص بالكلام لآخر ليميّزه عن غيره، ومنه الحديث الخفي، والثناء من الاختصاص.

يكون في حالة تمجيد حقيقيّة لله تعالى، وإذا وصل إلى هذه الحالة، فإنه لا يكون بينه وبين رحمة ربه حجاب.

وقد جاء فِيمَا أَوْحَى الله إِلَى مُوسَى عليه السلام: «**يَامُوسَى، كُنْ إِذَا دَعَوْتَنِي خَائِفاً مُشْفِقاً وَجِلًا، وَعَفِّرْ وَجْهَكَ فِي التُّرَابِ، وَاسْجُدْ لِي بِمَكَارِمِ بَدَنِك**»[1].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام في ضرورة الثناء: «**إِنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَأَلَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: أَعْجَلَ الْعَبْدُ رَبَّهُ. وَجَاءَ آخَرُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم سَلْ تُعْطَه**»[2].

فللدعاء فنون ربانية، منها التمجيد والثناء لله تعالى، ومنها أن يبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، ومنها أن يقدّم توسله بهم عليهم السلام بين يديه، وغير ذلك مما قد يُجمع أو يُفرّق، فالمِدحة والثناء هنا جاء مقدّمة للسؤال المهم من الله في نهاية الزيارة، وهو الإنضمام إلى زمرة أهل البيت عليهم السلام.

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «**إِنَّ فِي كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَنَ الْمَسْأَلَةَ بَعْدَ الْمِدْحَةِ، فَإِذَا دَعَوْتَ فَمَجِّدْهُ.**

قَالَ قُلْتُ: كَيْفَ نُمَجِّدُهُ؟

قَالَ تَقُولُ: يَامَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، يَامَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ

---

١ – عدة الداعي، ص١٥٩

٢ – عدّة الداعي، ص١٦٠

وَقَلْبِهِ، يَامَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، يَامَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء»[1].

فلنمضِ مع هذه الحقائق القادمة من الزيارة، التي هي (ثناء) كما عبّرت الزيارة نفسها في الفصل الأخير منها، (**اللهمَّ فَاسْتَجِبْ دُعَائِي وَاقْبَلْ ثَنَائِي وَأَعْطِنِي رَجَائِي**)، فالدعاء ما قد تقدّم وقد اختص بصياغة النفس، والثناء يبدأ بعده في هذا القسم، ثم سيأتي بعده العطية المرجوة في الختام.

وقد هيّأ نفسه في قسم (الدعاء) في فصله الأخير حينما قال: «**فاجعل نفسي.. مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيَا بِحَمْدِكَ وَثَنَائِكَ**)، فها هو قائم بين يدي القبر الشريف في تطبيق عملي لاشتغال النفس عن الدنيا بالثناء في بقعة هي من أشرف بقاع الأرض يحب الله أن يذكر فيها اسمه، فيناجي ربّه بثناء هو عبارة عن رحمة الله تعالى لخلقه في فتحه لأبواب السماء، لينفذ الطالبون منها.

١ – عدّة الداعي، ص١٦٠

(١)

اللهمَّ إنَّ قُلُوبَ المُخْبِتِينَ إلَيْكَ وَالِهَةٌ

المُخْبِتِينَ: أخْبَتَ إلى اللهَّ فهو مُخْبِتٌ: خاشِعٌ مُتَضرِّع صالح. وهو المُطْرِق أيضاً.

وَالِهَةٌ: الوَلَهُ: الحزن، وقيل: هو ذهاب العقل والتحير من شدّة الوجد أَو الحزن أَو الخوف. والوَلَهُ: ذهاب العقل لِفقْدانِ الحبيب.

يناجي الزائر ربه، بأن موضع الحبّ وقد وصل مدى تعلّق القلوب بك يارب أنها والهة، لا تفكّر إلا فيك، فإن فقدتك حزنت واضطربت، وإن وجدتك انشغلت بك في إخبات، والقلوب المخبتة، هي القلوب الخاشعة عن علم وبصيرة، فقد قال تعالى:

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

---

١ - سورة الحج ٥٤

فحري بمن يثني على الله تعالى ويناجيه بأن قلوب المخبتين إليه والهة، أن يتطلّع إلى طريق المخبتين الذين آتاهم الله معرفته، التي هي أرقى درجات المعرفة وأهمها، ليتعلّق قلبه بالله تعلقاً واعياً، غير ساذج.

قال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1].

١ – سورة الزمر ٩

(٢)

وَسُبُلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْكَ شَارِعَةٌ

الحقيقة التالية هي أن الراغبين، وهم أصحاب الإرادة الذين يطلبون ما عند الله تعالى من فضل، خاصية سبلهم وطرقهم أنها شارعة، أي مفتوحة غير مسدودة، فتلك السبل لا اعوجاج فيها، ولا انغلاق، فالراغبون تتوجه رغبتهم إلى ما عند الله تعالى، لذلك تكون سبلهم التي يسلكونها مفتوحة باتجاه الله تعالى لا باتجاه غيره من المطامع.

فعلامة الرغبة هي التوجه الحقيقي إلى الله تعالى في كل طريق يسلكه. فقد يكون محور رغبات الإنسان هي المطامع المادية، والمكاسب الدنيوية الزائلة والمؤقتة، فإذا جعل رغبته في ذلك، لاشك أن كل طريق يسلكه لن يسلكه إلا إذا حقق له تلك الغاية.

ومن دلالة أن سبلهم شارعة أي مفتوحة في كل وقت، فلا تمل ولا تكل عن ذكر الله تعالى، قال عز وجل:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

لذا أسماهم راغبين، والرغبة لها علاقة بالمسارعة، فهي تسرع الخطى نحو الخير في كل وقت.

قال تعالى عن زكريا وزوجته وابنه يحيى:

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[2].

فمادام أن الله تعالى وضع القابليات في قلوب الراغبين في التوجّه إلى الله، فإن الزائر يأمل أن تكون سبله كلها شارعة باتجاه الله رغبة إليه.

١ - سورة آل عمران ١٩١
٢ - سورة الأنبياء ٨٩ - ٩٠

(٣)

وَأَعْلَامَ الْقَاصِدِينَ إِلَيْكَ وَاضِحَةٌ

الأعلام: ما ينصب في الطريق للهداية، وهي مفرد علم بمعنى الراية، وقد يفهم من العبارة أن الله تعالى وضع الأعلام وهي العلامات التي يهتدي بها المهتدون، كالنبي ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وقد يفهم منها أن أعلام الهداية التي وضعها الله تعالى، بالنسبة للقاصدين واضحة لا لبس فيها.

إلا أن المعنى المراد والذي يمكن أن نختاره، هو ما يعزّز السياق، فالدعاء في معرض الحديث عن القابليات في الإنسان المؤمن والعلامات في توجهه إلى خالقه، فكما أن قلوب المخبتين والهة، وسبل الراغبين شارعة، فإن هذه الأعلام هي علامة القاصدين إلى الله، وهي علامات، إلا أن تسميتها بالأعلام دلالة على أنها بارزة، وهي أيضاً منار للآخرين، فهم يعرفون بها بسبب وضوحها.

ووضوحها هو الأثر الذي يظهر عليهم، بسبب الإيمان والقصد المخلص

لله تعالى في كل شؤونهم، فترى عبادتهم في خشوع، وترى إحسانهم نابعاً عن محبة، وترى سيماهم في وجوههم.

قال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[1].

إن الفقرة التي سبقتها تحدثت عن الراغبين، والرغبة هي الإرادة، وهنا تتحدّث عن القاصدين، والقاصدون لديهم إرادة، إلا أن الفرق بين الحالين كما في الفروق اللغوية: «**أن قصد القاصد مختص بفعله دون فعل غيره، والارادة غير مختصة بأحد الفعلين دون الآخر، والقصد أيضاً إرادة الفعل في حال إيجاده فقط، وإذا تقدمته بأوقات لم يسمّ قصداً، ألا ترى أنه لا يصح أن تقول قصدت أن أزورك غداً**»[2].

إن الزائر يعي هذه الحقيقة، فيخلص بالتوجه إلى الله تعالى، فيكون من القاصدين حقاً.

١ – سورة الفتح ٢٩

٢ – الفروق في اللغة، حسن بن عبد الله العسكري، ص١٢٠

(٤)

وَأَفْئِدَةَ الْعَارِفِينَ مِنْكَ فَازِعَةٌ

العارفون في لسان الروايات، هم العارفون بالله المخلصون في توحيده، أو هم المعترفون بالإمام المفترض الطاعة، ومن شروط التوحيد الخالص هو الاعتراف بالإمام، كما عن الإمام الرضا عليه السلام: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي ـ ثم قال: بِشُرُوطِهَا وَأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا**»[1].

فالعارفون بالله تعالى كما أن أفئدتهم وهي إشارة إلى أعماق قلوبهم، تعيش حالة الرجاء في ثواب الله تعالى، فيدفعها نحو المزيد من العمل، فإنها أيضاً تخاف وتفزع من عذابه الشديد، كي تبتعد عن المعاصي والذنوب.

وبمقدار ما هي فازعة من عذاب الله، فهي في الآخرة آمنة لا خوف عليها، قال تعالى: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**﴾[2].

فلا يكفي أن تكون قلوب المخبتين والهة، وسبل الراغبين شارعة،

---

١ - التوحيد، للصدوق، ص٢٥

٢ - سورة النمل ٨٩

وأعلام القاصدين واضحة باتجاه الانجذاب إلى الله تعالى، فإن من الضروري أن تكون القلوب في نفور تام عن المحرّمات، فتستشعر الفزع في أعماق قلبها، فالفزع من الله هو فزع من عقابه، وعقاب الله لا يأتي إلا بارتكاب المحرمات التي نهى عنها، فما لم تكن قلوبهم فازعة من الله سيختل ميزانهم، وتسوّل لهم أنفسهم بارتكاب الإثم، فينهدم بنيانهم.

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام- عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَ جَلَّ: **(وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً)**؟

قَالَ: **أَمَا وَالله إِنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ الْقَبَاطِي[1]، وَلَكِنْ كَانُوا إِذَا عَرَضَ لَهُمُ الْحَرَامُ لَمْ يَدَعُوهُ»**[2].

والفزع من الله ليس كأي فزع، فكل فزع يستلزم الابتعاد عن المُفزع منه، كما تفر الظبية من الأسد، إلا الفزع من الله عزّ وجل، فإنه يستلزم القرب منه أكثر، بل الفزع منه إليه جلّ وعلا، كما قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «**فَإِذَا اشْتَدَّ الْفَزَعُ فَإِلَى الله الْمَفْزَعُ»**[3].

وكما عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء السحر، مخاطباً الله: «**وَأَنَا يَاسَيِّدِي عَائِذٌ بِفَضْلِكَ، هَارِبٌ مِنْكَ إِلَيْك»**[4].

وجاء التعبير بالأفئدة في مقام بيان الفزع، وهو أمر يعبّر عن أعلى

---

١ - القباطى- بالفتح- الثياب البيض الرقاق المصرية والقبط بالكسر يقال لاهل مصر.

٢ - الكافي، ج٢، ص٨١

٣ - الكافي، ج٢، ص٤٦٨

٤ - مصباح المتهجد، ج٢، ص٥٨٤

درجات الإحساس لأنه نابع من الفؤاد، وقد سمّي القلب بالفؤاد، لتفأؤده أي توقّده وحرارته، لذلك قيل إن الفؤاد هو وسط القلب، أو غشاؤه، كدلالة على رقّة الحس الصادر عنه.

فالزائر هنا يعمّق معنى الإقبال على الله تعالى، بتكامل السير إليه تعالى، فيخلق في نفسه الخوف والفزع من الله، فكما أن ثوابه جزيل، فإن عقابه شديد.

(٥)

وَ أَصْوَاتَ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ صَاعِدَةٌ، وَأَبْوَابَ الْإِجَابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ

المتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء لله الخالص، أصواتهم تصعد إلى الله، كناية عن استجابة دعواتهم وبلوغها مقصدها، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾[1]، وانتشار أصوات الداعين في آفاق السماء من الكلم الطيب الذي يحمل خاصية الصعود إلى الله ليتقبّله بقبول حسن.

فقد هيأ الله لعباده الدعاء، وضمن لهم الإجابة، قال تعالى:

﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[2].

وهذه قاعدة عامة، تحتوي على دعامتين أساسيتين:

---

١ – سورة فاطر ١٠

٢ – سورة غافر ٦٠

الأولى: هي توفّر الشروط عند الإنسان، ليكون داعياً إلى الله تعالى متوجهاً إليه في طلباته، وهذه الدعامة متحقّقة بأن جعل الله تعالى القابلية في الإنسان ليتوجه بها إلى أبواب الله، وقد كانت الفقرات الأولى دليلاً عليها، وحكاية لها.

الثانية: هي أن الله تعالى فتح أبواب رحمته لاستقبال تلك الأفعال من الإنسان بقبول حسن، فإن أبوابه مفتحة، يستقبلها بإجابتها وتحقيقها، ولترسيخ هذه الدعامة، ستكون الفقرات التالية مفصلة لها.

(٦)

وَدَعْوَةَ مَنْ نَاجَاكَ مُسْتَجَابَةٌ

المناجاة كما في اللغة هي اختصاص بالكلام لآخر ليميّزه عن غيره، ومنه الحديث الخفي، فالمناجاة تستلزم القرب والأثرة عند المناجي، فمن اقترب من الله قرّبه الله تعالى إليه، وأصبحت دعوته عند الله مجابة، قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1].

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «**الدُّعَاءُ مَفَاتِيحُ النَّجَاحِ وَمَقَالِيدُ الْفَلَاحِ، وَخَيْرُ الدُّعَاءِ مَا صَدَرَ عَنْ صَدْرٍ نَقِيٍّ وَقَلْبٍ تَقِيٍّ، وَفِي الْمُنَاجَاةِ سَبَبُ النَّجَاةِ**»[2].

فمن الأبواب المفتحة للداعين، أن مناجاتهم بالدعاء مفتحة، وتتميّز المناجاة أنها نوع من أنواع الدعاء الخفي، الذي يتضمن الاختصاص بالثناء على الله تعالى بما هو أهله، في حديث بين الداعي وبين ربه، وعند الثناء على الله والتمجيد تستجاب الدعوات.

---

١ - سورة البقرة ١٨٦

٢ - الكافي، ج٢، ص٤٦٨

رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «إِنَّ فِي كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَنَ الْمَسْأَلَةَ بَعْدَ الْمِدْحَةِ. فَإِذَا دَعَوْتَ فَمَجِّدْهُ.

قَالَ قُلْتُ: كَيْفَ نُمَجِّدُهُ؟

قَالَ تَقُولُ: **يَامَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، يَامَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، يَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، يَامَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**».

(٧)

وَتَوْبَةَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْكَ مَقْبُولَةٌ

التوبة هي الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة إليها، والإنابة هي الرجوع إلى الطاعة، بل هي الرجوع إلى الله تعالى، فتدخل التوبة دائرة القبول كباب من الأبواب المفتحة من الله، إذا كان العبد منيباً إلى الله، متبرئاً من ذنوبه التي اقترفتها يده.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

برغم أن الله تعالى مطّلع على كل ما يفعل الإنسان من جهالة وسوء، وما يقترفه من ذنوب، إلا أنه عز وجل لم يغلق باب التوبة في وجه العاصين المذنبين، وقد ورد في الروايات أن الله يفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه.

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَّ تَعَالَى أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ وَزَادَهُ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ فَوَجَدَهَا،**

---

١ - سورة الشورى ٢٥

فَالله أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ حِينَ وَجَدَهَا»[1].

وباب التوبة لا يحدّه زمن، فلا يغلق في وجه من أراد أن يدخله، ولو كان قبل نهاية عمره، فما لم يعاين الموت فالتوبة منه مقبولة، أما أولئك الذين استمروا على خطاياهم، وقد عاينوا الموت وتابوا عندها، فهذا دليل على أنهم لم يتوبوا.

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ قَبِلَ الله تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ السَّنَةَ لَكَثِيرَةٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ قَبِلَ الله تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّهْرَ لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِجُمْعَةٍ، قَبِلَ الله تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْجُمْعَةَ لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ قَبِلَ الله تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ يَوْماً لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يُعَايِنَ، قَبِلَ الله تَوْبَتَهُ»[2].

فحري بالمرء أن يدخل باب التوبة قبل حلول أجله، ليجد أنها مقبولة، وقبولها يعني أن سيئاته تمحى من سجلاته، ويكون كمن لا ذنب له.

قال تعالى: **﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[3].

---

١ - الكافي، ج٢، ص٤٣٥

٢ - الكافي، ج٢، ص٤٤٠

٣ - سورة المائدة ٣٩

(٨)

وَعَبْرَةَ مَنْ بَكَى مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةٌ

عندما يبكي الباكي خوفاً من الله عزّ شأنه، فهو يبكي مما أعده الله من عقاب لمن عاداه وخالفه، وتنزل عبرته على خده كعلامة للبكاء خوفاً، فإن الله تعالى يتلطّف بها ويشمل تلك الدمعة برحمته، فإن الله تعالى جعل الجوارح تحكي حال الإنسان، بل أعطاه في جسده علامات على صدق عمله ونيته، فمن يخشى الله عزّ وجل، ويتوجه إليه طلباً للرحمة، بحاجة إلى علامة لمعرفة أن الرحمة الإلهية تتنزل عليه وتشمله، والدموع هي العلامة، لذلك تلك العبرة تكون مرحومة.

وهي (مرحومة) ليست كالرحمة الرحمانية الشاملة لكل المخلوقات، فكما هو ثابت أن رحمة الله وسعت كل شيء. إن العبرة مرحومة بمعنى أن الإنسان الذي جرت دموعه من خشية الله، مرحوم بسبب دمعته تلك، وهو مرحوم بالرحمة الرحيمية الخاصة بالمؤمنين، فنسيم هذه الرحمة إذا هبّ على العبد فسيكون في مأمن من كل سوء في حياته، بل وفي أهم حياة خلق من

أجلها، وهي الآخرة، فهناك يحتاج المرء إلى رحمة الله لتنتشله من كل هم وخوف، وذلك امتياز لا يحصل عليه كل أحد، وممن يحصل عليه هو الباكون من خشية الله.

فباب الدمعة خشية من الله، هو باب مفتوح لمن تطلّع إلى الرحمة الرحيمية الخاصة بالمؤمنين.

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**مَا مِنْ عَيْنٍ إِلَّا وَهِيَ بَاكِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا عَيْناً بَكَتْ مِنْ خَوْفِ الله، وَمَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنٌ بِمَائِهَا مِنْ خَشْيَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا حَرَّمَ الله عَزَّ وَجَلَّ سَائِرَ جَسَدِهِ عَلَى النَّارِ، وَلَا فَاضَتْ عَلَى خَدِّهِ فَرَهِقَ ذَلِكَ الْوَجْهَ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلَهُ كَيْلٌ وَوَزْنٌ، إِلَّا الدَّمْعَةُ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُطْفِئُ بِالْيَسِيرِ مِنْهَا الْبِحَارَ مِنَ النَّارِ، فَلَوْ أَنَّ عَبْداً بَكَى فِي أُمَّةٍ، لَرَحِمَ الله عَزَّ وَجَلَّ تِلْكَ الْأُمَّةَ بِبُكَاءِ ذَلِكَ الْعَبْدِ**»[1].

١ - الكافي، ج٢، ص٤٨٢

(٩)

وَالْإِعَانَةَ لِمَنِ اسْتَعَانَ بِكَ مَوْجُودَةٌ

ومن الأبواب المفتحة، أن باب الاستعانة مفتوح، فمن يستعين بالله تعالى يعان، والإعانة موجودة أي أنه يظفر بمطلوبه ويجده.

ولا شك أن الإنسان أضعف من أن يؤدي ما عليه من واجبات، أو ينجز ما يرومه من أهداف، بنفسه ودون الحاجة إلى الإعانة من خالقه، فإن القوة لله جميعاً، فهو محتاج في كل شؤونه ومفتقر إلى الله، لذا يتوجّه بطلب الإعانة من خالقه.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**فَإِذَا قَالَ ـ العبد ـ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: بِيَ اسْتَعَانَ وَالْتَجَأَ، أُشْهِدُكُمْ لَأُعِينَنَّهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَأُغِيثَنَّهُ فِي شَدَائِدِهِ، وَلَآخُذَنَّ بِيَدِهِ يَوْمَ نَوَائِبِهِ**»[1].

إذا كانت الإعانة من الله تعالى من الأبواب المفتحة للولوج إلى رحمة

---

١ - الأمالي، للشيخ الصدوق، ص١٧٥

الله تعالى، فهذا يعني أن على الإنسان المؤمن أن يستشعر الحاجة الفعلية إلى خالقه، كما عليه أن يعي تماماً أن الله تعالى على كل شيء قدير، ومن جهة أخرى عليه أن يستشعر في نفسه الإفتقار إلى حالقه، فمتى ما استشعر الحاجة ووعى افتقاره إلى الله حقيقة، فإنه سيجد الإعانة في شؤونه موجودة حاضرة أمامه.

(١٠)

وَ الْإِغَاثَةَ لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِكَ مَبْذُولَةٌ

الإغاثة هي النصرة عند الشدّة، والاستغاثة طلبها، وهي أعلى من الاستعانة، لما يستشعر السائل من شدّة ما ألمّ به، فهو كمن يوشك على الغرق في بحر لجي، فيجأر إلى الله بالاستغاثة، لذلك في دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام يقول: «**وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْتُ**»[1].

والمستغيث لا يجد غير الله قادراً على الأخذ بيده وإنقاذه، لذلك فإن الإغاثة من الله مبذولة له، وبذلها أي لا يمنعها الله تعالى عنه، ولعل التعبير ببذلها لأن المستغيث عندما يصل إلى حد الحرج في وضعه، يدور في خلده أن لا أحد يغيثه، ولكي لا تأخذه الهواجس السلبية أن يمنع الإغاثة، جاء التعبير بأنها مبذولة لك ما دمت مستغيثاً بالله حقاً.

وقد جعل الله تعالى أبواب البذل بالإغاثة عديدة، فتوجّه القلب إلى الله تعالى بإخلاص، واتباع السبل التي عبّدها الله للمستغيثين به، كالأذكار

---

١ – الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق.

الواردة، والصلوات المخصوصة، والتوسلات الخاصة بالإستغاثة، كلها سبل لبذل الإستغاثة.

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، قَالَ: **إِذَا كَانَتْ لِأَحَدِكُمُ اسْتِغَاثَةٌ إِلَى الله تَعَالَى، فَلْيُصَلِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْجُدُ وَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ يَارَسُولَ الله، يَاعَلِيُّ يَاسَيِّدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُؤْمِنَاتِ، بِكُمَا أَسْتَغِيثُ إِلَى الله تَعَالَى، يَامُحَمَّدُ يَاعَلِيُّ، أَسْتَغِيثُ بِكُمَا، يَاغَوْثَاهْ بِالله، وَبِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ، وَ(تَعُدُّ الْأَئِمَّةَ)، بِكُمْ أَتَوَسَّلُ إِلَى الله تَعَالَى، فَإِنَّكَ تُغَاثُ مِنْ سَاعَتِكَ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى**»[1].

وباب الاستغاثة هذا أيضاً من الأبواب المفتحة للعبد، ليتوجّه إلى خالقه في كل شؤونه.

١ - مكارم الأخلاق، ص٣٢٩

(١١)

وَعِدَاتِكَ لِعِبَادِكَ مُنْجَزَةٌ

العِدة هي الموعد والوعد، ويمكن أن يكون شراً أو خيراً، ولكن وعد الله لا يكون إلا خيراً، وفي سياق العبارة يتحدّد المقصود منها، وهي أن الوعود هي لعباد الله تعالى، بل أن سياق فقرات الدعاء هذه تصب في مجرى الثناء بأن لله تعالى أبواب رحمة لعباده، فالعِدات هي ما وعدهم به من ثواب في الآخرة، وما وعدهم به من آثار دنيوية في صالحهم نتيجة أعمالهم، فهي كلها منجزة، أي موفى بها، وهو دليل تحققها.

قال تعالى: ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ**﴾[1].

ومن العدات أن الله تعالى يفتح أبواب الرزق للمتقين، وأنهم إذا سألوه استجاب لهم، وإذا توسّلوا بأهل بيت نبيه حقّق آمالهم، وأنهم إن صبروا أعطاهم، وإن شكروا زادهم من فضله.

---

١ – سورة الزمر ٢٠

(١٢)

وَزَلَلَ مَنِ اسْتَقَالَكَ مُقَالَةٌ

الاستقالة هي طلب الإقالة، وهي في البيع أن يطلب من البائع أن يرد البضاعة عليه ويرفع العقد بينهما، وهي أمام الله تعالى، التجاوز عن الذنب، ولكن بحيث لا يترتب عليه أي أثر، لأن للذنوب آثاراً دنيوية وأخروية، وهو بهذا الطلب، يتوجّه إلى خالقه بأن يوقف أثر الذنب الذي أذنبه.

فالاستقالة باب من الرحمة، فتحه الله تعالى لمن زلّت قدماه وخالف أمر مولاه، لذلك فمن يتوجّه لله بالاستقالة، فإن الله تعالى يقيل عثرته، فلا يعتقد أن ما وعد الله به سيفوته بمجرد مخالفته، فلقد وضع الله له باباً آخر يمكنه أن يتابع التقدّم في التوجه إلى الله واستنزال رحمته وتحقيق الآمال من لدنه، وهو باب الإقالة.

(١٣)

وَ أَعْمَالَ الْعَامِلِينَ لَدَيْكَ مَحْفُوظَةٌ

نقيض الحفظ الإضاعة، لذا فإن كل عمل من العاملين لدى الله وفي مقرراته لعباده، وهم الذين يعملون لله تعالى كجنود، هي محفوظة، وإذا كانت محفوظة فهذا يعني أن أجرها غير ضائع على العبد، فكل ما يقوم به سواء كان صغيراً أو كبيراً، وكل ما يصيبه في جنب الله مهما عظم، فهو بعين الله تعالى، سيجزيه به خير الجزاء.

قال تعالى:﴿**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1].

١ – سورة التوبة ١٢٠

(١٤)

وَأَرْزَاقَكَ إِلَى الْخَلَائِقِ مِنْ لَدُنْكَ نَازِلَةٌ، وَعَوَائِدَ الْمَزِيدِ لَهُمْ مُتَوَاتِرَةٌ

إن الله تعالى هو الرزاق لكل خلقه، فلا يخلق خلقاً إلا ورزقه مضمون مقدّر له، (من لدنه نازلة) لا من غيره حتى لو كان سبباً من أسبابه، والخلائق هم خلق الله، وهم الخليقة بأجمعها.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾[1].

والحقيقة الثانية في الرزق، مع ضمان الرزق الأَساسي للخلق، فإن هناك تنامياً في ذلك الرزق، فهو ليس محدوداً بحيث لا يزيد، إنما باب الإنماء مفتوح عند الله تعالى.

فالعوائد جمع عائدة، وهي ما يعود على المرء من فضل أو خير، فبحسب عمل الإنسان الذي يدر عليه المزيد من الرزق، كالسعي، وطلب الخير من الله، أو بسبب آثار أعماله الصالحة التي تعود عليه بالرزق، كالتزوج، واليقضة بين الطلوعين، والتقوى التي ينزل بسببها الرزق من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب، فالمزيد منها عن الحد الأساسي متواترة عوائده، أي متتابعة.

---

١ - سورة هود ٦

(١٥)

وَذُنُوبَ الْمُسْتَغْفِرِينَ مَغْفُورَةٌ

الذنوب تمحق الخير وتمحق الرزق، ولكن الله تعالى جعل باب الاستغفار مفتوحاً، فالذنوب عنده مغفورة، والغفران هو التغطية والستر، والاستغفار طلب الستر والتجاوز عن الذنب، فالتجاوز عن الذنب في حد ذاته عطاء من الله، وباب من أبواب العطاء، إلا أن ما يزيد في المعنى ليناسب السياق، هو أن تلك الذنوب التي غفرها الله تعالى بعد أن دخل في دائرة المستغفرين حقاً، سيقلبها الله عزّ وجلّ عطاءً وطاعة وعملاً صالحاً.

قال الله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[1].

١ – سورة الفرقان ٧٠

(١٦)

وَحَوَائِجَ خَلْقِكَ عِنْدَكَ مَقْضِيَّةٌ

من عطاء الله تعالى لخلقه، أنه لا يترك حوائجهم التي استشعروا ضرورتها في حياتهم، دون تحقق، بل هي متحققة مقضية عند الله.

فمن قصد غير الله تعالى في بلوغ حوائجه، فهو يطلبها ممن ليس بيده شيء، إن الله تعالى هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، فلا مانع لفضله، ومهما تكوّنت الأسباب التي أجرى من خلالها الله أمور خلقه، إلا أن المرجع كله لله عزّ وجلّ، لذا نرى أن العديد من الناس يتبعون نفس الأسباب، ولكنهم لا يحققون نفس النتائج.

(١٧)

وَجَوَائِزَ السَّائِلِينَ عِنْدَكَ مَوْفُورَةٌ، وَعَوَائِدَ الْمَزِيدِ إِلَيْهِمْ وَاصِلَةٌ

إن عطاء الله تعالى لا ينضب، فلا يزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، فالجوائز وهي التي يعطيها المكرم على سبيل الإكرام، صفتها أنها موفورة عند الله عزّ وجلّ، أي في القانون الإلهي، والموفور هو الكثير التام الذي لم يتنقص منه شيء، فلا يحدّد العبد لنفسه من الله العطاء، فيظلم نفسه، ولا يعرف عطاء ربه غير المجذوذ الذي لا ينقطع إلا من عرف كرم الله تعالى وجوده على عباده، فعطاء الله لا يحكمه ميزان العدل، لأن العدل يعني أن السائل لابد أن يفي بمقدار العطاء، والمخلوق مقصّر أمام إنعام الله عليه، فعطاء الله موفور كجوائز ضمن فضل الله تعالى.

فإن المزيد من فضل الله تعالى (عوائد) إلى السائلين، بحسب ما يسألونه، كلها إليهم واصلة.

عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام، قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّ الرِّزْقَ لَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى عَدَدِ كُلِّ قَطْرٍ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُدِّرَ لَهَا، وَلَكِنْ لله فُضُولٌ، فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ**»[1].

---

١ – مستدرك الوسائل، ج٥، ص١٦٠

(١٨)

وَمَوَائِدَ الْمُسْتَطْعِمِينَ مُعَدَّةٌ، وَمَنَاهِلَ الظِّمَاءِ لَدَيْكَ مُتْرَعَةٌ

المستطعِم هو الذي يسأل الطعام من الله، والظماء جمع ظمآن، وهو العطشان، فإن العطاء الإلهي الذي يتبع قانون التفضّل من الله عزّ وجلّ، لا يقتصر على حاجات الإنسان الأساسية، بل الإنعام منه تاماً على عباده، فالذي يطلب من الله الطعام، لا يسد جوعه فحسب، بل إن الموائد معدّة، أي مهيأةً له.

وكذلك الظمآن الذي من شأنه أن يطلب الماء، فلا يعطى حد الإرواء وحسب، بل إن المناهل التي هي موارد نبع الماء وجريانه، مترعة، أي مملوءة، فما عليه إلا أن يقبل عليها ويستزيد منها.

في كل الحاجات يجري هذا القانون الإلهي، في الاستطعام للأكل أو العلم أو التقوى أو أي خير من الله، فإن الله يعطيه العبد ويغدق عليه من نعمه.

بذلك يكون منطق الداعي التوجه لله تعالى، منطق العارف بالله وبفضله، كما يعلمنا الإمام الصادق عليه السلام الدعاء الذي علّمه معاوية بن عمار، ففيه هذه المعاني والآفاق.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام أَنْ يُعَلِّمَنِي دُعَاءً لِلرِّزْقِ، فَعَلَّمَنِي دُعَاءً مَا رَأَيْتُ أَجْلَبَ مِنْهُ لِلرِّزْقِ، قَالَ قُلِ:

«اللهمَّ ارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، رِزْقاً وَاسِعاً حَلَالًا طَيِّباً بَلَاغاً لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، صَبّاً صَبّاً، هَنِيئاً مَرِيئاً، مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا مَنٍّ مِنْ أَحَدٍ خَلْقِكَ، إِلَّا سَعَةً مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ، فَإِنَّكَ قُلْتَ: ﴿وَسْئَلُوا اللهَّ مِنْ فَضْلِهِ﴾، فَمِنْ فَضْلِكَ أَسْأَلُ، وَمِنْ عَطِيَّتِكَ أَسْأَلُ، وَمِنْ يَدِكَ الْمَلْأَى أَسْأَلُ»[1].

١ - الكافي، ج٢، ص٥٥١

تحليل حول قسم المناجاة

في القسم الثالث من زيارة أمين الله، الخاص بالثناء على الله تعالى ومناجاته، بما يختص بعطاء الله وفضله، والأبواب التي فتحها لخلقه، نحاول أن نجد الترابط بين العبارات فيه، فإن كلام أهل البيت عليهم السلام متصل في معناه، دقيق في تتابعه وترتيبه، وإننا من الصعب أن ندّعي الإمساك بالرابط الأكيد بين الفقرات، إلا أننا نحاول أن نحلل اعتماداً على المعاني المستظهرة منها.

ونلخّصها في التّالي:

١- **الفقرة الأولى إلى الرابعة**: التهيئة في قلوب المخبتين وفي سبل الراغبين والقاصدين والعارفين، كلها حاضرة موجودة، من خلال آثارها، وهي جانب القابليات في الإنسان المتوجه لله تعالى، فلقد وفّر الله للإنسان القدرة على الانفتاح عليه والتوجه نحو رحمته، وأوضح الآثار الظاهرة لتلك الأحوال.

٢- **الفقرة الخامسة**: تأتي القاعدة الكلية في هذه الفقرة: (**وَأَصْوَاتَ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ صَاعِدَةٌ، وَأَبْوَابَ الْإِجَابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ**)، لتقرّر أن القابليات إذا

توفّرت وكانت لله خالصة، فإن الأبواب الإلهية تفتح أمامها بإجابة على ما سألوا من فضل الله.

٣- من الفقرة السادسة إلى الفقرة العاشرة: هي التفصيل في أحوال الداعين، وبيان كيفية تفتح الأبواب الإلهية بالإجابة أمامهم، (فعند المناجاة تستجاب الدعوة، وعند التوبة إلى الله تقبل منه، وحال انهمال العبرة من البكاء خوفاً من الله، تتنزل الرحمة، وعندما يطلب العون من الله يعينه، بل وعندما يزداد الطلب فيستغيثه، يغاث).

٤- من الفقرة الحادية عشرة إلى الفقرة الثالثة عشرة: المجال الذي يتأرجح فيه الإنسان أمام كل ما ذكرته الفقرات السابقة من أبواب، في ثلاث جهات:

أ- (وعود الله لعباده وهي منجزة)،

ب- وفي المقابل (الزلل والنقص من المستقيل معفي عنه)،

ج- و (أعماله يثاب عليها كلها دون نقص).

إذاً فإن الله ينجز وعده، ولا يخلفه مع الزلل إذا سدّه بالاستقالة، ولا يضيع من وعده شيء حتى لو كان العمل خفياً أو قليلاً مادام العمل لله عزّ وجلّ.

٥- من الفقرة الرابعة عشرة إلى الفقرة الثامنة عشرة: العطاء الإلهي لا

يقتصر على سد الحاجات، بل ما عند الله أوسع، ولا يعطي على قدر العمل، فإن لله الفضل كله، فميزان الله تعالى هو الإعطاء الوافر، (فالرزق نازل للجميع بل متواتر)، والحوائج بحسب شعور الإنسان لحاجاته مقضية، بل وأكثر، فجوائز الله متتابعة، فلا يسد الجوع أو يروي الظمأ وحسب، بل يعطي فوق ذلك، بحيث يجد الموائد معدّة، والمناهل مترعة.

ولعل وجود عبارة (**وَذُنُوبَ الْمُسْتَغْفِرِينَ مَغْفُورَةٌ**) بين هذه الفقرات، لما ينظر لها من جانب العطاء، أي أن الله تعالى يغفر الذنب، وإذا غفره بدّله إلى عمل صالح، كما قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[1].

١ – سورة الفرقان ٧٠

غاية المأمول

شرح الزيارة (قسم الطلب)

غاية المأمول

اللهمَّ فَاسْتَجِبْ دُعَائِي وَاقْبَلْ ثَنَائِي وَأَعْطِنِي رَجَائِي [جَزَائِي] وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَوْلِيَائِي بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام إِنَّكَ وَلِيُّ نَعْمَائِي وَمُنْتَهَى رَجَائِي وَغَايَةُ مُنَايَ فِي مُنْقَلَبِي وَمَثْوَايَ أَنْتَ إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ اغْفِرْ لِي وَلِأَوْلِيَائِنَا وَكُفَّ عَنَّا أَعْدَاءَنَا وَ اشْغَلْهُمْ عَنْ أَذَانَا وَأَظْهِرْ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَاجْعَلْهَا الْعُلْيَا وَأَدْحِضْ كَلِمَةَ الْبَاطِلِ وَاجْعَلْهَا السُّفْلَى- إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[1].

إن الغاية العامة من زيارة أمين الله، هي صياغة الشخصية المؤمنة وفقاً لأنموذج المعصوم عليه السلام، من خلال الخطوات التي جرى عليها نص الزيارة، ابتداء بالسلام على الإمام، ثم الدعاء لكسب الصفات التي تقرّبه منه، ثم المناجاة والثناء على الله للدخول في أبواب الرحمة المفتوحة، وتتعزّز الغاية في أنه يأمل في أن يحصل على المأمول، فكانت كلمات الزيارةالمقدّسة هي خطوات ومقدمات للدخول في زمرة أهل البيت عليهم السلام.

ففي هذا القسم الأخير يأمل الزائر أن يتحرّر من كل ضيق في الدنيا، ويكون في الآخرة عند الله تعالى وأن يجمعه مع أهل البيت عليهم السلام، متوسلاً بهم، معترفاً أن الفضل كله لله تعالى.

---

١ - كامل الزيارات، النص، ص: ٤٠

(١)

اللهمَّ فَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وَاقْبَلْ ثَنَائِي، وَأَعْطِنِي رَجَائِي، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَوْلِيَائِي.

بعد أن قدّم الزائر سلامه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم تحوّل بالدعاء ليحقّق الله له بناء شخصيته المقتفية أثر الإمام عليه السلام، فهو يطلب هنا أن يستجيب الله ذلك الدعاء، وبعد أن انتهى من الدعاء جاءت فقرة الثناء على الله تعالى، فهو يسأل الله أن يقبل ذلك الثناء الجميل.

ثم أردف بكلمة (وأعطني رجائي)، وهنا تنبهنا كلمات الزيارة إلى أن هنالك رجاءً ومقصداً كبيراً، لعل كل ما مر هي مقدّمة له، نعم هو مخلص في سلامه، ومخلص في دعائه، ومخلص في ثنائه، إلا أن ذلك الإخلاص له غاية كبرى، ورجاء عظيم من الله تعالى، ولعل هذا ما يبين لنا سر مقصد زيارة أمين الله التي تنطلق من شخصية أمير المؤمنين عليه السلام بل وسائر أهل البيت عليهم السلام الذين انتهجوا نهجه.

فما هو ذلك الرجاء؟

فالرجاء يمكن أن نستفيده من أصل الهدفية التي سارت عليها الزيارة، والأهداف الأساسية لزيارات المعصومين عليهم السلام، والتي هي تحقق معنى السلامة في العلاقة بين الزائر وبين أوليائه الطاهرين، وكما رأينا تطبيقياً أن الزيارة تعرض السلام على أمير المؤمنين عليه السلام، كأنموذج، ثم تسرد الدعاء في بناء الشخصية الإسلامية، وما يتبع ذلك من ثناء على الله لتعزيز السلام الأول، فيكون الرجاء هو العلاقة السليمة مع الإمام عليه السلام في الدنيا والآخرة.

ويمكن أن نستفيده من الدعاء الذي يلي فقرة الرجاء وهو (وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَوْلِيَائِي)، أي اعطني رجائي بأن تجمع بيني وبين أوليائي، جمعاً في الصفات في الدنيا، وبالنصرة عند ظهور الحجة (عجل الله فرجه) بالرجعة، كما هي فائدة قراءة هذه الزيارة كما بيّنا سابقاً، وجمعاً في الآخرة في زمرتهم في الجنّة، وكل تلك المعاني مطلوبة وقد تواترت بها الروايات عن أهل البيت عليهم السلام.

كما ونشير إلى أن عبارة (وأعطني رجائي) ليست مذكورة في بعض المزارات، كمزار ابن المشهدي، فيكون أيضاً سؤال الله بأن يستجيب دعاءه الذي مر، ثم يقبل ثناءه، ثم يجمع بينه وبين أوليائه، كغايات متكاملة.

(٢)

بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام

الدعاء المهم بحاجة إلى توسل مهم، وبمقدار ما يتطلع الإنسان إلى سؤاله من الله، لابد أن يقدّم توسله، فلا يوجد أعظم من شخصية أمير المؤمنين عليه السلام التي سلّم عليها وأراد اقتفاء أثرها، ولا يوجد أعظم من حق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحق أهل بيته عليهم السلام في التوسّل، فهذه الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه فتاب عليه، فقد ورد عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عَنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ فَتابَ عَلَيْهِ؟

قَالَ: **سَأَلَهُ بِحَقِ مُحَمَّدٍ وَعَلِي وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ إِلَّا تُبْتَ عَلَيَّ فَتَابَ عَلَيْهِ**»[1].

بل هو دعاء نوح وإبراهيم الخليل، ويعقوب.

---

١ - الخصال، ج١، ص٢٧٠

(٣)

إِنَّكَ وَلِيُّ نَعْمَائِي، وَمُنْتَهَى رَجَائِي، وَغَايَةُ مُنَايَ، فِي مُنْقَلَبِي وَمَثْوَايَ

الولي هنا قد يكون معناه الوالي للنعماء، أي بيده أمر النعم التي تحيطني. فالله هو ولي النعم ويرجع إليه كل فضل، وهو عزّ وجلّ منتهى الرجاء، أي ليس بعد هذا الرجاء رجاء، وليس بعد الله منى، وهو ما يتمناه المرء ويحدث به نفسه لبلوغه، فإن الله غاية المنى.

قالوا في اللغة: «أن أصل الغاية الراية وسميت نهاية الشيء غايته، لأن كل قوم ينتهون الى غايتهم في الحرب أي رايتهم، ثم كثر حتى قيل لكل ما ينتهي إليه غاية ولكل غاية نهاية».

ونهاية الغايات وختام الرجاء يكون في الآخرة، التي هي خير وأبقى، (في منقلبي) وهو مصير العباد في الآخرة، والمثوى هو مكان المقام، فكل سيصير إلى منقلبه في الآخرة، وسيستقر فيها.

(٤)

أَنْتَ إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، اغْفِرْ (لِي وَ)[1] لِأَوْلِيَائِنَا، وَكُفَّ عَنَّا أَعْدَاءَنَا، وَاشْغَلْهُمْ عَنْ أَذَانَا، وَأَظْهِرْ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَاجْعَلْهَا الْعُلْيَا، وَأَدْحِضْ كَلِمَةَ الْبَاطِلِ وَاجْعَلْهَا السُّفْلَى، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وهذه الفقرة الأخيرة، غير مذكورة في عدد من المصادر، وذكرها كامل الزيارات، فيها يعترف الزائر بالعبودية لله تعالى، وطلب المغفرة له ولأوليائه، ولعل المقصود هنا هم أصحابه أو المتعلقين به ومن يهمه أمرهم، بل هم المتعلقين بسبب العقيدة والرابط الولائي بأهل البيت عليهم السلام، لما في الفقرة من دلائل وأهداف هي إظهار الحق ودحض الباطل.

ومن المطالب المهمة لكي يقوم الإنسان بممارسة دينه وحياته، ويعيش حياة كريمة، أن يكفى شر الأعداء، وأن يشغلهم عن أذى المؤمنين، لتظهر كلمة الحق في الآفاق، وتخبوا كلمة الباطل وتندحر، فإن الله على كل شيء قدير.

---

١ – ليست موجودة في البحار فيما ينقله عن كامل الزيارات،

زيارة أمين اللّه في كل المشاهد

لقد ذكرت الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام، أن زيارة أمين الله يمكن أن تزور بها أو تقرأها عند أي قبر من قبور أهل البيت عليهم السلام، وبذلك يتشرّف الزائر بأن يقبل دعاؤه ويرفع في درج من نور، ويختم بضمانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويحفظه الله تعالى حتى يسلّم إلى الإمام القائم (عجل الله فرجه).

إلا أن التساؤل، هل المقصود هو زيارة أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الزيارة عند كل قبر من قبور الأئمة، كما هو حال زيارة الإمام الحسين عليه السلام عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام ؟

أو المقصود هو أن يزار بها كل إمام عند قبره بنفس نص هذه الزيارة؟

لنذكر نص ماجاء بهذا الخصوص والذي اعتمد عليه في الدلالة على أنها يمكن أن تكون زيارة مطلقة لجميع الأئمة عليهم السلام.

قَالَ جَابِرٌ قَالَ لِيَ الْبَاقِرُ عليه السلام: «**مَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا دَعَا بِهِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا عِنْدَ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَوْ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام، إِلَّا رُفِعَ**

دُعَاؤُهُ فِي دَرَجٍ مِنْ نُورٍ، وَطُبِعَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَانَ مَحْفُوظاً كَذَلِكَ حَتَّى يُسَلَّمَ إِلَى قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام فَيَلْقَى صَاحِبَهُ بِالْبُشْرَى وَالتَّحِيَّةِ وَالْكَرَامَةِ إِنْ شَاءَ الله.

قَالَ جَابِرٌ: حَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عَبْدِ الله جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَقَالَ لِي: **زِدْ فِيهِ إِذَا وَدَّعْتَ أَحَداً مِنْهُمْ فَقُلْ:**

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِمَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، أَسْتَوْدِعُكَ اللهَّ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله، آمَنَّا بِالرَّسُولِ وَبِمَا جِئْتُمْ بِهِ، وَبِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ، اللهمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَتِي وَلِيَّكَ، اللهمَّ لَا تَحْرِمْنِي ثَوَابَ مَزَارِهِ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُ، وَيَسِّرْ لَنَا الْعَوْدَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهَّ»[1].

لقد استظهر بعض الأعلام من عبارة (مَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا دَعَا بِهِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا عِنْدَ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَوْعِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام)، أن زيارة أمين الله يمكن أن نعدّها من الزيارات المطلقة التي يمكن زيارة أي إمام بنفس نصها، إلا أن البعض قد يشير إلى أن العبارة يمكن أن تحمل على عدة احتمالات هذا أحدها، ومن الاحتمالات المغايرة:

١- أن يزار بهذه الزيارة أمير المؤمنين عليه السلام عند مراقد كل الأئمة عليهم السلام، فهي زيارة لأمير المؤمنين، ولكن يمكن زيارته بها من أي مكان، وخصوصاً في البقاع الطاهرة لأهل البيت عليهم السلام.

---

١ - إقبال الأعمال، ابن طاووس، ج١، ص٤٧٠

٢- أن المراد من عبارة (ما قال هذا الكلام ولا دعا به أحد) في الرواية، هو الدعاء اللاحق للزيارة، وليس الزيارة كلها.

ولعل استظهارهم هذه النتائج من أن نص الزيارة مذكور فيها عبارة (السلام عليك ياأمير المؤمنين) وهو لقب مختص بالإمام علي عليه السلام دون سواه، أو من كلمة (ولا دعا به أحد) فهي إشارة للدعاء دون الزيارة.

ولكننا نستبعد هذين الاحتمالين، لعدة دلالات، نذكرها باختصار:

أولاً: أن اللفظ الذي جاء في نص الرواية هو (مَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا دَعَا بِهِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا)، فالإشارة في الزيارة بعبارة (هذا الكلام، ولا دعا به) لا يدل على اختصاصها بالدعاء المعهود، لأنه في بعض نصوص أهل البيت عليهم السلام يطلقون على الزيارة لفظ الدعاء كما في زيارة عاشوراء[1]، لذا فإن العبارة المذكورة هي إشارة للزيارة التي تلفظ بها الإمام عليه السلام كوحدة متكاملة ولم يشر فيها إلى التجزّؤ، كما قد يشار إلى بعض الزيارات ثم يذكر بعدها دعاء ختامياً، أو دعاء بطلب الحوائج، فالإمام هنا ساق الزيارة كلها بنص واحد متكامل، وبهذا نصّت جميع كتب الزيارة.

ثانياً: أن النص لم يذكر أن من زار أمير المؤمنين عند سائر القبور، بل أشار لتلاوة النص عند كل قبر من قبورهم عليهم السلام، وبهذا يتحقق الانصراف إلى زيارتهم بهذا النص، ويدل عليه ما رواه ابن طاووس في نص الوداع بعد

١ - لقد بحثنا بشكل مفصل، موضوع تسمية الزيارة باسم الدعاء في كتابنا (زيارة الإمام الحسين سماتها الربانية وآثارها التربوية) في نسخته الموسعة.

أن ذكر الزيارة بها عند جميع القبور، فقد قال: «**قَالَ جَابِرٌ: حَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عَبْدِ اللهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَقَالَ لِي: زِدْ فِيهِ إِذَا وَدَّعْتَ أَحَداً مِنْهُمْ فَقُلْ...**». فكلمة إذا ودّعت أحداً منهم، تدل على أنه قام بزيارتهم، ثم يقرأ كلمات الوداع.

ثالثاً: أن عبارة (السلام عليك يا أمير المؤمنين)، الواردة في الزيارة، مع ثبوت الدعوة إلى الزيارة بنصها لجميع الأئمة من جهة، ومع ثبوت اختصاص اللقب بالإمام علي عليه السلام من جهة أخرى، فيمكن التصرّف بتغيير العبارة هذه فقط، وذكر اسم الإمام الذي يزوره.

إذا راجعنا نصوص الزيارة الواردة في كتب الحديث، سنكتشف أن بعضها ابتدأت بأول عبارة فيها بـ (السلام عليك يا أمير المؤمنين)، كما في كامل الزيارات[1]، وكتاب إقبال الأعمال[2]، وكتاب فرحة الغري[3]، إلا أن بعض الكتب لم تذكر هذه العبارة في أول الزيارة، واكتفت بها في داخلها، أي بعد كلمة (وحجته على عباده)، مثل المزار الكبير[4]، وكتاب مصباح المتهجد[5]، ورواها عنه الحر العاملي في الوسائل.

---

١ – كامل الزيارات، ابن قولويه، ت: ٣٦٧هـ، ص٣٩

٢ – إقبال الأعمال، علي بن موسى بن طاووس، ت: ٦٦٤هـ، ج١، ص٤٧٠

٣ – فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النجف، عبد الكريم بن أحمد بن طاووس، ت:٦٩٣هـ، ص٤٠.

٤ – المزار الكبير، محمد بن جعفر ابن المشهدي، ت: ٦١٠هـ، ص٢٨٢

٥ – مصباح المتهجد، وسلام المتعبد، محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠هـ، ج٢، ص٧٣٨

بل إن العلامة المجلسي في كتاب بحار الأنوار، ذكر الزيارة من دون (السلام عليك يا أمير المؤمنين) واكتفى بـ (السلام عليك يا مولاي)[1]. وقد ذكرها المجلسي أيضاً في زاد المعاد في قسم زيارات أمير المؤمنين مع التسليم بإمرة المؤمنين، وعندما ذكرها ضمن الزيارات المطلقة ذكر محلها عبارة (السلام عليك يا مولاي)[2].

ويبدو أن ذلك إما هو وارد عن أهل البيت عليهم السلام بعبارة (يامولاي)، أو هو مما كان دأب العلماء في الجمع بين الروايات، بحيث يتصرّفون ضمن توجيهات الرواية، فالرواية التي دلّت على استحباب زيارة جميع الأئمة بهذا النص، كأنها تدعو إلى وضع اسم الإمام ضمن موضع الاسم الذي اختص به الإمام علي عليه السلام، فعند زيارة الإمام الرضا عليه السلام بزيارة أمين الله يقول الزائر: (السلام عليك يا أبا الحسن يا علي بن موسى الرضا)، وعندما يزور بها الإمام الحسن عليه السلام في البقيع، يقول (السلام عليك يا أبا محمد الحسن بن علي بن أبي طالب)، وهكذا جميع الأئمة.

وقد ذكر زيارة أمين الله بعض العلماء في مصنفاته ضمن الزيارات المطلقة التي يزار بها كل إمام، ومنهم الحر العاملي، في هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، ذكرها تحت عنوان: «يستحبّ زيارة كلّ واحد منهم عليهم السّلام

١ - بحار الأنوار، ج٩٩، ص١٧٧

٢ - زاد المعاد، للعلامة المجلسي، ص٥١٢

بالزيارة المأثورة الخاصّة أو الجامعة»[1].

وصنّفها العلامة المجلسي في بحار الأنوار ضمن الزيارات المطلقة[2].

وقد ذكر المحقق البروجردي في جامع أحاديث الشيعة نفس الزيارة، وعدّها من الزيارات للمعصومين التي تجزي في المواضع كلها[3].

نور واحد

فيمكن للزائر أن يزور بنص هذه الزيارة العظيمة في كل المشاهد الشريفة، للأئمة عليهم السلام؛ لأنهم نور واحد وحقيقة واحدة من حيث مقام الحجية والشهود على العباد، فالزيارة تصف في أولها الإمام بأوصاف أساسية منطبقة على جميع المعصومين عليهم السلام، بل إن تلك المواصفات هي دعائم إيمان كل مؤمن بهم وكل معترف بحقهم عليهم السلام ومقامهم.

وقد وردت عدة روايات في تساوي فضلهم في مقام الحجية والأمر، ما يستلزم تساوي زياراتهم [4] عليهم السلام من هذه الجهة، فمن زار أحدهم فكأنما زار الآخر، فقد جاء عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْكَاظِمِ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: أَيُّمَا أَفْضَلُ، زِيَارَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، أَوْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام،

١ – هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، الحر العاملي، ج٥، ص٤٥٤

٢ – بحار الأنوار، ج٩٩، ص١٧٧

٣ – جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج١٥،ص١١٩

٤ – هذا في جانب مقام كونه حجة على العباد فهي متساوية، ولا ينافي الروايات التي وردت عن التفاضل بينهم عليهم السلام كأشخاص وعمل، ولا ينافي الروايات التي وردت في التفاضل من جهة الخصائص.

أَوْ لِفُلَانٍ [فُلَانٍ] وَفُلَانٍ، وَسَمَّيْتُ الْأَئِمَّةَ وَاحِداً وَاحِداً؟

فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، مَنْ زَارَ أَوَّلَنَا فَقَدْ زَارَ آخِرَنَا، وَمَنْ زَارَ آخِرَنَا فَقَدْ زَارَ أَوَّلَنَا، وَمَنْ تَوَلَّى أَوَّلَنَا فَقَدْ تَوَلَّى آخِرَنَا، وَمَنْ تَوَلَّى آخِرَنَا، فَقَدْ تَوَلَّى أَوَّلَنَا، وَمَنْ قَضَى حَاجَةً لِأَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِنَا، فَكَأَنَّمَا قَضَاهَا لِأَجْمَعِنَا، يَاعَبْدَ الرَّحْمَنِ، أَحِبَّنَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّنَا، وَأَحِبَّ فِينَا، وَأَحْبِبْ لَنَا، وَتَوَلَّنَا وَتَوَلَّ مَنْ يَتَوَلَّانَا، وَأَبْغِضْ مَنْ يُبْغِضُنَا، أَلَا وَإِنَّ الرَّادَّ عَلَيْنَا كَالرَّادِّ عَلَى رَسُولِ الله جَدِّنَا، وَمَنْ رَدَّ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَدْ رَدَّ عَلَى الله، أَلَا يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَمَنْ أَبْغَضَنَا فَقَدْ أَبْغَضَ مُحَمَّداً، وَمَنْ أَبْغَضَ مُحَمَّداً، فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَّ، وَمَنْ أَبْغَضَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، كَانَ حَقّاً عَلَى الله أَنْ يُصْلِيَهُ النَّارَ، وَمَا لَهُ مِنْ نَصِيرٍ»[1].

ولذا فإن الرواية التي تدعو إلى زيارة جميع الأئمة بزيارة أمين الله، فكأنها تقول:

إذا زرت البقيع الغرقد وحضرت عند الإمام الحسن عليه السلام والإمام زين العابدين، والباقر والصادق عليهم السلام، فزرهم بزيارة أمين الله.

وإذا حضرت عند الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، فقف عنده زائراً بنص زيارة أمين الله.

وإذا توجّهت لزيارة الكاظميين في بغداد فخاطبهما بزيارة أمين الله.

وإذا يمّمت وجهك ناحية سامراء لزيارة العسكريين، فاتلو عندهما زائراً بزيارة أمين الله.

---

١ – كامل الزيارات، ص٣٣٦

بل وإن تشرفت بزيارة الإمام الحسين عليه السلام ورغم زياراته العديدة، فزره أيضاً بزيارة أمين الله.

نسأل الله العلي القدير أن يكتبنا من زوارهم الدائمين في الدنيا، ومن شفعائهم في الآخرة، إنه سميع مجيب الدعاء.

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

المقــدّمـة ٥

نص زيارة أمين الله ٧

زيارة المعصومين مفتاح التغيير

زيارة أمير المؤمنين عليه السلام مثالاً

زيارة المعصومين مفتاح التغيير ١٣

الزيارة في الدلالة اللغوية ١٣

الزيارة في الاصطلاح ١٤

١- شد الرحال، أو المجيء للقبر الشريف..... ١٥

٢- تلاوة نص الزيارة، المشتمل على (السلام، والدعاء، والتوسل).... ٦١

٣- الصلاة، هدية للمزور..... ٧١

الزيارة آلة التربية ١٨

زيارة أمير المؤمنين عليه السلام منفذ إلى العظمة ٢١

البقعة البيضاء التي تلمع نوراً ٥٢

ثواب زيارته عليه السلام..... ٥٢

روضة من رياض الجنة ٢٥

يزوره الله وملائكته وأنبياؤه..... ٢٦

لــه الجــنة..... ٢٧
تفتح لزائره أبواب السماء ٢٧
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخلصه من ذنوبه..... ٢٩
ما أتاه مكروب إلا نفّس كربته ٢٩
لزائره ثواب الشهداء والغفران..... ٣٠
لا يزوره إلا الصّدّيقون ٣٠
من أتاه ماشياً..... ٣١
فضل زيارته على زيارة الحسين ٣٢
البقعة البيضاء تلمع نوراً..... ٣٣
ثواب زيارته يوم الغدير ٣٤
تارك زيارته ٣٥
نفحات الاشتياق إلى حضرة علي عليه السلام ٦٣

زيارة أمــين اللّه
خطوات في الطريق إلــى اللّه

سير وسلوك في رحاب علي بن أبي طالب عليه السلام..... ١٤
مصدر النور (سند الزيارة) ٢٤
قصة الزيارة (ظروفها المعاصرة) ٥٤
هل هي زيارة خاصة بالغدير؟ ٥٠
هندسـة زيارة أمــين اللّـــه..... ٥٢
أهداف زيارة أمين الله..... ٥٤
التسلسل المنهجي لزيارة أمين الله..... ٥٥
الرجعة لنصرة القائم المهدي ٥٧

فـي رحاب أمـين اللـه
شرح الزيارة (قسم السلام)

محطات ولوحات في حياة أمير المؤمنين ٦٣
لوحات الكمال ٦٣
اشتياق وعناق الأرواح ٦٤
في معنى السلام ٦٥
السلام في الزيارة ٦٦
(١) السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللهِ فِي أَرْضِهِ ٧٣
في طريق الإمام ٧٧
(٢) وَحُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ ٨٧
حجة ذاتية ٧٩
دلالة العباد ٨١
السلام مع الحجة ٨٢
(٣) السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ٨٤
في معنى الأمير ٨٥
السلام مع الأمير ٨٧
(٤) أَشْهَدُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ ٨٩
آفاق الجهاد ٩٢
السلام مع الجهاد ٩٣
(٥) وَعَمِلْتَ بِكِتَابِهِ ٩٤
السلام مع القرآن الناطق ٩٧
(٦) وَ اتَّبَعْتَ سُنَنَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ٩٨
سنن: السُّنَّةُ: ٩٨
سنن النبيين ١٠٢

السلام مع سنن النبي ١٠٢
(٧) حَتَّى دَعَاكَ اللهُ إِلَى جِوَارِهِ وَقَبَضَكَ إِلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ ٣٠١
جـوار اللّـــه ١٠٤
ماذا يعني جوار الله؟ ٤٠١
وَقَبَضَكَ إِلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ..... ٦٠١
(٨) وَأَلْزَمَ أَعْدَاءَكَ الْحُجَّةَ ـ فِي قَتْلِهِمْ إِيَّاكَ ـ مَعَ مَا لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَةِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ ٩٠١
ألزم قاتليه الحجة ١١١

بناء الشخصية
شرح الزيارة (قسم الدعاء)

عروج في سماء علي عليه السلام ١١٧
(١) اللهمَّ فَاجْعَلْ نَفْسِي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ، رَاضِيَةً بِقَضَائِكَ. ١٢١
الإطمئنان بالقدر ١٢٣
الرضا بالقضاء ١٢٤
(٢) مُولَعَةً بِذِكْرِكَ وَدُعَائِكَ ١٢٦
بين الدعاء والقضاء ١٢٨
النفس المولعة بالذكر ١٢٨
(٣) مُحِبَّةً لِصَفْوَةِ أَوْلِيَائِكَ، مَحْبُوبَةً فِي أَرْضِكَ وَسَمَائِكَ..... ١٣٠
محبوبة في الأرض والسماء ١٣١
ماذا تعني محبة الله للعبد؟ ١٣٣
(٤) صَابِرَةً عَلَى نُزُولِ بَلَائِكَ..... ١٣٥
(٥) شَاكِرَةً لِفَوَاضِلِ نَعْمَائِكَ، ذَاكِرَةً لِسَوَابِغِ آلَائِكَ ١٣٨

النعم بين الشكر والذكر ١٣٩
(٦) مُشْتَاقَةً إِلَى فَرْحَةِ لِقَائِكَ، مُتَزَوِّدَةً التَّقْوَى لِيَوْمِ جَزَائِكَ..... ١٤٢
(٧) مُسْتَنَّةً بِسُنَنِ أَوْلِيَائِكَ [أَنْبِيَائِكَ] مُفَارِقَةً لِأَخْلَاقِ أَعْدَائِكَ ١٤٥
سنن الأولياء وأخلاق الأعداء ١٤٥
(٨) مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيَا بِحَمْدِكَ وَثَنَائِكَ. ١٤٨
بين الحمد والثناء..... ١٤٩

استسقاء العارفين
شرح الزيارة (قسم المناجاة)

استسقاء العارفين..... ١٥٣
(١) اللهمَّ إِنَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتِينَ إِلَيْكَ وَالِهَةٌ..... ١٥٧
(٢) وَسُبُلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْكَ شَارِعَةٌ ١٥٩
(٣) وَأَعْلَامَ الْقَاصِدِينَ إِلَيْكَ وَاضِحَةٌ..... ١٦١
(٤) وَأَفْئِدَةَ الْعَارِفِينَ مِنْكَ فَازِعَةٌ..... ١٦٣
(٥) وَ أَصْوَاتَ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ صَاعِدَةٌ، وَأَبْوَابَ الْإِجَابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ ١٦٦
(٦) وَدَعْوَةَ مَنْ نَاجَاكَ مُسْتَجَابَةٌ..... ١٦٨
(٧) وَتَوْبَةَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْكَ مَقْبُولَةٌ ١٧٠
(٨) وَعَبْرَةَ مَنْ بَكَى مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةٌ ١٧٢
(٩) وَالْإِعَانَةَ لِمَنِ اسْتَعَانَ بِكَ مَوْجُودَةٌ..... ١٧٤
(١٠) وَ الْإِغَاثَةَ لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِكَ مَبْذُولَةٌ..... ١٧٦

(١١) وَعِدَاتِكَ لِعِبَادِكَ مُنْجَزَةٌ ١٧٨
(١٢) وَزَلَلَ مَنِ اسْتَقَالَكَ مُقَالَةٌ ١٧٩
(١٣) وَ أَعْمَالَ الْعَامِلِينَ لَدَيْكَ مَحْفُوظَةٌ ١٨٠
(١٤) وَأَرْزَاقَكَ إِلَى الْخَلَائِقِ مِنْ لَدُنْكَ نَازِلَةٌ، وَعَوَائِدَ الْمَزِيدِ لَهُمْ مُتَوَاتِرَةٌ.. ١٨١
(١٥) وَذُنُوبَ الْمُسْتَغْفِرِينَ مَغْفُورَةٌ ١٨٢
(١٦) وَحَوَائِجَ خَلْقِكَ عِنْدَكَ مَقْضِيَّةٌ ١٨٣
(١٧) وَجَوَائِزَ السَّائِلِينَ عِنْدَكَ مَوْفُورَةٌ، وَعَوَائِدَ الْمَزِيدِ إِلَيْهِمْ وَاصِلَةٌ ١٨٤
(١٨) وَمَوَائِدَ الْمُسْتَطْعِمِينَ مُعَدَّةٌ، وَمَنَاهِلَ الظِّمَاءِ لَدَيْكَ مُتْرَعَةٌ..... ١٨٥
تحليل حول قسم المناجاة..... ١٨٧

غاية المأمول
شرح الزيارة (قسم الطلب)

غاية المأمول..... ١٩٣
(١) اللهمَّ فَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وَاقْبَلْ ثَنَائِي، وَأَعْطِنِي رَجَائِي، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَوْلِيَائِي..... ١٩٥
(٢) بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام ١٩٧
(٣) إِنَّكَ وَلِيُّ نَعْمَائِي، وَمُنْتَهَى رَجَائِي، وَغَايَةُ مُنَايَ، فِي مُنْقَلَبِي وَمَثْوَايَ ١٩٨
(٤) أَنْتَ إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، اغْفِرْ (لِي وَ) لِأَوْلِيَائِنَا، .... إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ١٩٩
زيارة أمين الله في كل المشاهد ٢٠١
نور واحد ٢٠٦

مما صدر للمؤلف:

١. فن الاعتذار وقبول العذر
٢. الحب في العلاقات الزوجية
٣. فاطمة المعصومة الجنة الموعودة
٤. شهر رمضان شهر الإنجاز
٥. القادم من العالم الآخر (شرح أدعية شهر رمضان اليومية)
٦. زيارة الإمام الحسين عليه السلام سماتها الربانية وآثارها التربوية
٧. رضيع الحسين عليه السلام أصغر شهيد وأكبر شاهد
٨. العولمة والمجتمع
٩. منامات الحسين عليه السلام دراسة وتحليل..
١٠. بيضاء من نور، زيارة أمين الله شرح وتحليل

للتواصل مع المؤلف

السيد محمود الموسوي
الموقع الإلكتروني
www.mosawy.com
البريد الإلكتروني
smamood@gmail.com

بيضاء من نور

زيارة أمين الله شرح وتحليل

السيد محمود الموسوي
www.mosawy.com

هي مدارس خاصة نعيش خلالها دورات العطاء ودروس التربية، ونتزوّد منها بجرعات الإيمان، ونستلهم مواقفنا في الحياة، ومن هنا أصبحت الضرورة ملحّة للسعي نحو تسجيل أنفسنا ضمن وفد الزائرين لكل العتبات المقدّسة لأهل البيت عليهم السلام، كي لا نُحرم أسمى عطاء وأروع تربية وأصدق إيمان وأعذب زاد للحياة.

ونحن في هذا الكتاب نتناول زيارة أمين الله كمادة دراسية ملهمة للنفس والعقل معاً، تطبيقاً عملياً لمهام الزيارات في المعرفة الدينية، ولنرى كيف يمكن أن نعيش في كنف أهل البيت عليهم السلام ونسكن إلى ظلهم الحاني، ونلتحف رأفتهم الرقيقة.

إخراج وتصميم: الكليم جرافكس
+973 36778827
mohd.he@gmail.com